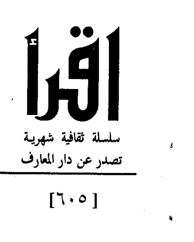
دكتورة ثريا العسيلى

تأملات فى كتاب الله



دار المعارف

تصميم الغلاف : **شريفة أبـو سيـف**



سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٦٠٥]

رئيس التحرير: **رجب البنا**

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

الإهـداء

إلى روح أبى الذى أحببت آيات القرآن الكـريم مرتّلاً بصوته الحبيب ، مع إشراقة كل صباح .

وإلى أمِّى - حفظها الله - التى أعتز بـدعـواتهـا ورضاها ، ومازلتُ أتعلم منها ، وأحاول الاقتداء بها ، فى إصرارها على سماع آيات القرآن الكريم ، معظم نهارها .

د . ثريا العسيلى

مدخل أو مقدمة

منذ طفولتى المبكرة ، كنتُ أستيقظُ فأجِدُ والدى رحمه الله ، وقد جلس بعد أداء صلاة الفجر يقرأ آيات القرآن الكريم بخشوع ، وحب ، وسعادة وبصوت مسموع ..

علقت بذاكرتى منذ ذلك الوقت كلمات ، وآيات كثيرة لم أكن أفقه معناها ، وحين بدأت أستطيع نطق العبارات التى حفظتها ، أخذت أسأله أحيانا عن المعانى فيقربها إلىّ ، ويشرحها ببساطة وحنوّ ، فى صورة تتناسب مع فهمى ، وإدراكى فى ذلك العمر ومع دراستى حتى المرحلة الثانوية أخذت معرفتى بالكثير من الآيات القرآنية ، والسور ، وحفظى لها يزداد حيث كان أبى يشجعنى على ذلك ، ويحكى لى كيف اهتم جدِّى الذى لم أره ، بتحفيظه القرآن الكريم منذ طفولته وقد كان جدى أستاذًا بالأزهر ، كما لا أستطيع نسيان دور أحد أخوالى ، الذى كان بالمرحلة النهائية بكلية أصول الدين بالأزهر وكلما تردد علينا لزيارتنا ، كان يعقد مسابقة بينى وبين أختى فى حفظ سورة يسمعها من كل منا فى الزيارة القادمة ، ويكون للفائزة جائزة مالية كبيرة .. وقد أصبح خالى بعد ذلك من أساتذة الأزهر وعلمائه المعروفين الذين يساهمون فى الدعوة وعلوم الدين فى العالم الإسلامى ، وكلما رأيته نتذكر

سويًّا هذه الذكريات الجميلة ، وأننى لا أنسى قط جائزته لى حين حفظت (سورة النور) .

خلال دراستى الجامعية أخذت فى التعرف على المزيد من الثقافة الدينية ، وقراءة التفاسير ، والمراجع ، وساعدنى على ذلك وجود مكتبة أبى الذى كان أحد رواد التربية والتعليم . وبمكتبته أيضا ما ورث عن والده من كتب الدين .

عملت بالتدريس فى المراحل المختلفة ، حتى المرحلة الثانوية بمدرسة المتفوقين الثانوية ، وساعدنى تدريس التربية الإسلامية كثيرا على حفظ الكثير من سور القرآن الكريم .

فى كل هذه المراحل من حياتى ، أقف دائما منبهرة ، معجبة بآيات الكتاب العظيم ، وأذكر فى كل موقف من مواقف حياتى اليومية آيات تجيب عن كل تساؤلاتى ، وتساعدنى على الاطمئنان والشعور بالراحة ، والسكينة ، وهدوء النفس ، ويلازمنى شعور دائم ، والحمد لله ، أننى بذكرى للخالق سبحانه فى كل وقت ، قد امتلكت كنزًا أغلى وأروع من كل كنوز العالم ؛ هذا الشعور العظيم يدفعنى دائما إلى مزيد من التعلق والشغف بكتاب الله العظيم ، أتلو من آياته الكريمة كل يوم قدر استطاعتى ، وأنصت إلى قرّائه فى سعادة بالغة ، وأتأمل فأجد كل ما يمتع النفس ، ويسمو بالروح ، ويقنع الفكر ..

ما أعظم كتاب الله الكريم ، إننا نجد فيه دائما ما يكشف

الغامض ، ويجيب السؤال ، بما يهدّئ الخاطر ، ويريح البال .
كما نجد فى تلاوته كل ما يمتع النفس والروح من أسلوب رائع معجز ، مقنع ، من أجل هذا رغبت أن يشاركنى القراء بعضا من هذا الاستمتاع ، وهذا الاقتناع بما يحتوى هذا الفيض العظيم ، من بعض آيات الكتاب الكريم من معان ومضامين ، تعجز الأقلام عن وصفها :

قال تعالى : ﴿وَلَو أَنَّ ما فِي الأرض مِن شجرةٍ أقلامٌ وَالبحرُ يمدُّهُ مِن بعدِهِ سبعةُ أبحرٍ ما نفِدَت ، كلِماتُ الله إن الله عزيزٌ حكيمٌ﴾ . [سورة لقمان : الآية ٢٧]

وفى هذا الكتاب محاولة لتأمل بعض مواقف حياتنا وربطها بآيات القرآن الكريم ، نهتدى بها ونسير على دربها .

وأرجو أن أكون قد وُفِّقْتُ فى التَّعبير عن بعض حبى وإعجابى وتقديسى لآيات القرآن الكريم فهى المعين لى ، ولغيرى من البشر فى الدنيا . والعمل بها هو وحده ما يضمن رضى الله سبحانه والجنة فى الآخرة الباقية .

وفقنا الله جميعا ، إلى الاهتداء بهدى كتابه الكريم .

د . ثريا العسيلى

تأملات شاعرة

اختار الله سبحانه اللغة العربية لتكون لغة كتابه العظيم ، القرآن الكريم ، وليكون للبشر كافة هاديًا لكل قول وفعل ، يضمن سعادتهم ، ورضاه سبحانه . وتأملاتى الطويلة فى كتاب الله المعجز ، تجعلنى أدهش كثيرا لِما أجد عليه نفسى من أحوال ، فى هذا العالم السَّاحر الأخَّاذ ؛ إننى أقرأ آيات من القرآن الكريم فى كل يوم وأحرصُ على ذلك مهما كانت الظروف ، وأجد نفسى دائما وفى كل تلاوة مبهورة ،معجبة بآيات القرآن الكريم التى لا تطاولها بلاغة ، وبالمشاعر الرائعة التى تضفيها على نفسى ، فى كل مرة ، السكينة ، وراحة البال ، هدوء النفس ، واطمئنان القلب . كما أعجب لنفسى عند كل قراءة ، فكأنى دائمًا أكتشف دلالاتٍ جديدة ، ومعانِيَ جديدة ، وظلالا للمعانى إن قراءة القرآن الكريم ، تسعد نفسى ، وتبهج قلبى ، وتطمئن فؤادى ، وتجعل الحياة جميلة رائعة فى عينى ، كما تجعل المستقبل مطمئنا .

وحين أنشغل فى أعمالى اليومية أتوق أحيانا إلى قراءة الشعر ، وفى قليل من الأحيان أحِنُّ إلى كتابته فأنتقل فى الحالين إلى مشاعر مليئة بالسعادة والراحة .. مما دفعنى إلى هذه التأملات .

لابد أن فطرة الله سبحانه وتعالى ، التى فطر الإنسان عليها ، تجعله سعيدا بالجمال ، وبالأسلوب الجميل المعبّر الصادق ؛ مع تنزيه كلام الله ، تعالت قدرته ، وعظمته ، عن كلام مخلوقاته من البشر – الشُعراء . والقرآن الكريم لم يغض من قيمة الشّعر بوصفه فنا فى ذاته ، ولم يقلل من أهمية الشّعر فى الآيات الكريمة التى نفت الشعر عن الرسول ﷺ : ﴿وما علمناه الشّعر وما ينبغى له﴾ . [سورة يس : الآية ٦٩]

وتفسير « ابن رشيق » فى كتابه « العمدة » : إن معنى الآية الكريمة ، ما الذى علمناه شعرا ، وما ينبغى له أن يبلغ عنا شعرا .. ولو أن كون النبى عليه السلام غير شاعر ، غض من قيمة الشّعر ، لكانتْ أُمّيته غضًا من قيمة الكتابة .

وموقف الرسول ﷺ من الشعر يؤكد اعتزازه بالشعر ولا ننسى من أقواله عليه السلام : « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه » .

كما أن من الشعراء من كتبوا عنه عليه السلام ، وعن رسالته كحسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وعدى بن حاتم الطائى ، وعباس بن مرداس السلمى .

وتنزيه « القرآن الكريم » عن أن يكون شعرًا ،وأن يكون الرسول شاعرًا ليس تقليلا من جمال الشعْر ، أو طعنا فيه ، وإنما هو إقرار لواقع لا شك فيه . فالقرآن الكريم كلام الخالق سبحانه ، صورة فريدة تبعد كل البعد عن كلام البشر ، شعرا أو

سجعا كسجع الكهان وذكر كلمة الشِّعر فى القرآن الكريم ، فى عدة مواضع ينفى أن التنزيل الكريم شعْر ، أو أن الرسول ﷺ شاعر ﴿ وَما علَّمناهُ الشِّعرَ ، وما ينبغى له إن هو إلاَّ ذكر وقرآن مبين ﴾. [سورة يس : الآية ٦٩]

وقال تعالى : ﴿بل قالوا أضغاث أحلام ، بل افْتراه بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾. [سورة الأنبياء : الآية ٥]

و﴿ ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون ﴾.

[سورة الصافات : الآية ٣٦]

و﴿ أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ﴾.

[سورة الطور : الآية ٣٠]

و﴿إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾ .

[سورة الحاقة : الآيتان ٤٠ ، ٤١]

لقد كان هدف المشركين التهوين من شأن القرآن الكريم ، معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام فوصفوه بالشِّعر، فجاءت الآيات الكريمة ردًّا على افتراءاتهم، لذا نلاحظ أن هذه الآيات مكيَّة.

وقد حاول بعض المستشرقين إثبات وجود « شِعر » فى « القرآن الكريم » ، محاولين تضليل العقول بفكرتهم أن القرآن ليس وحيا من عند الله .

وأشاروا إلى بعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى : ﴿ومن يتق

الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ .
[سورة الطلاق : الآيتان ٢ ، ٣]

وقوله تعالى : ﴿والعاديات ضبحا ، فالموريات قدْحا ، فالمغيرات صبحا﴾ . [سورة العاديات : الآيات ١ : ٣]

وغيرها من الآيات الكريمة التى عثروا فيها على إيقاعات تسير على البحور الشعرية المعروفة .بعضها أبيات متكاملة ،وبعضها شطور موزونة .

لكن محاولات المستشرقين باءت بالفشل . فمزاعمهم لا تعنى وجود شعر فى القرآن الكريم .

وقد ردَّ الجاحظ قديما على هذه الادعاءات بأن أحاديث الناس وخطبهم ربما احتوت وزنا فى كلماتها أحيانا . إن القرآن الكريم فى نفيه أن تكون آياته شعرا صادق ، ولكنه لا يغض من قيمة الشعر ، حتى فى سورة الشعراء التى توهم البعض أنها طعن فى الشعر والشعراء ، آياتها فى هذا الموضوع مدنية ، رغم أن بقية السورة نزلت فى مكة مما يؤكد اختلاف دلالتها ومقاصدها .

قال تعالى : ﴿والشّعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كلِّ وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ، وانتصروا من بعد ما ظلموا ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ . [سورة الشعراء : الآيات ٢٢٤ – ٢٢٧]

إن الآيات الكريمة تصف شعراء قريش الكفار الذين ناصبوا

الإسلام والرسول العداء ، لكنّها تستثنى الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا اسم الله كثيرا .

لقد كان القرآن الكريم ، كلام الله العظيم ؛ هدفا لأعداء الإسلام على مر الأزمان .قال تعالى : ﴿وما لهم بِهِ من علم إن يتَّبعون إلا الظنَّ وإن الظّنَّ لا يغنى من الحق شيئا ، فأعرض عن مَّن تولَّى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدُّنيا ، ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلمُ بمن اهتدى﴾ .
[سورة النجم : الآيات ٢٨ – ٣٠]

إن هؤلاء الكفار بأفكارهم التى تستند إلى الباطل ، لم يحاولوا قراءة القرآن الكريم بفطرةٍ نقية ، وقلبٍ سليم لذا وقعوا فى الضّلال المبين .

قال تعالى : ﴿هو الذى أنزلَ عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾. [سورة آل عمران : الآية ٧]

إن المناهج الدنيوية والنظرية تندثر ويثبت فشلها ، ويظل القرآن ثابتا لا يتغير ولا يتبدل .

قال تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ . [سورة النساء : الآية ٨٢]

لقد حاول اليهود قديما إقحام العناصر الخبيثة فيما عرف

« بالإسرائيليات » حيث حرفوا كلمات الله سبحانه وتعالى . ونزلت الآيات القرآنية تحذر المسلمين من شرهم . قال تعالى :

﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ، وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾

[سورة البقرة : الآية ٧٥]

وقال تعالى :﴿وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب . ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب ، وهم يعلمون﴾ .

[سورة آل عمران : الآية ٧٨]

لقد أمرنا الإسلام بالإيمان بالرسل جميعا ، قبل خاتم الأنبياء محمد ﷺ ورسالاتهم ، وبقى أن الإسلام استخلص منها ما ظل موجودًا بالقرآن الكريم ، وما أراد للبشرية أن تسير على نهجه .

وبعد تلك الإسرائيليات والعصبيات السياسية والمذهبية والفرق الكلاميَّة ، وتأويلات الأعاجم المغرضة لبعض آيات القرآن الكريم وأخيرا مع الغزو الاستعمارى منذ بداية العصر الحديث والانبهار بحضارة الغرب ظهرت تلك المحاولات لتفسير القرآن الكريم تفسيرا علمانيا ، ومع التسليم والاطمئنان إلى قوله سبحانه وتعالى :

﴿إنا نحن نزَّلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[سورة الحجر: الآية ٩]

فنحن نشعر بأهمية تلك الرسالة العظيمة التي تقع على عاتق علمائنا ؛ وكل من يتصدى لتنشئة أجيالنا بتفسير القرآن الكريم ، مع ضرورة

الفهم العميق لعلوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم ، وعلوم الحديث ، وعلم التوحيد ، وأصول الدين ، وأحكام الفقه المستنبطة من الكتاب والسنة ، ومعرفة تاريخ الإسلام ، والحضارة الإسلامية .

إن الرسالة عظيمة ، على عاتق علمائنا نحو أجيالنا ، والرسالة عظيمة على عاتق الآباء والأمهات ، والمسئولين فى كل موقع ، حتى نأخذ بأيدى أبنائنا ، وبناتنا بعيدا عن الحيرة ، والضياع .

قال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم﴾ .

[سورة آل عمران : الآية ١٠٤]

حقا إن الله سبحانه متم نوره ولو كره الكافرون ، أما هؤلاء الذين أنكروا وجود الخالق ؛ فإن أهم الدوافع التى حدت بهم إلى ذلك ؛ هى تلك النفوس المنْحلَّة التى لم تتعهدها تربية صالحة ، فتقومها ، وتبعدها عن الضعف الذى يدفعها إلى الميل مع الهوى ؛ والغرائز ، وتدربها على سمو الروح ، وحسْن القصد، ولم تهتم هى بترويض النفس وتأمل الحقيقة ، وتحرى الحلال والحرام فى السلوك ، فنمت فيها النزعات المادية التى نأت بها عن الفطرة السليمة ، التى خلق الله البشر عليها ، والتى تجعل الإنسان السوِىّ ذا العقل السليم ، يسلم بوجود الخالق سبحانه، ويؤمن بالملائكة ، والكتب ، والرسل ، والقدر خيره وشره، وبالموت ، والبعث، والحساب ، والثواب والعقاب .

لقد حاول البعض قديما ، وحديثا ، تجاهل هذه الحقائق الأساسية الهامة ، وركضوا تجاه كل ما هو مادى ، يتوسمون فيه مصالح دنيوية ، وخاصة أن الإيمان بالله الواحد الخالق العظيم ، وبالإسلام الذى ارتضاه للبشر خاتما للأديان ، يلزم بتعاليم وشرائع ، وعبادات ، وتكاليف ،هم مشغولون عنها بتكالبهم على الدنيا ، والمال ، والشَّهوات متوهمين أنهم سيحققون السعادة ، وما أبعد شعور السعادة عن نفوسهم ، وما أصعب طريق هناءة الروح ، ورضى الخاطر عليهم ، وما أسهل الوصول إليه على المسلمين الصالحين الذين يؤمنون بالله سبحانه ، فيحبونه ، ويحبهم هؤلاء ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

[سورة الرعد : الآية ٢٨]

إن الطاقة الروحيَّة العظمى التى يمد بها الله سبحانه المؤمنين ، الذين يحسنون عبادته ، قد أوصلت الأمة الإسلامية فى مراحل من التاريخ إلى الحضارة والازدهار ، والقوة ، وقيادة العالم .

وذلك حين عرفوا الله حق المعرفة ، وما أجدرنا فى هذا العصر الذى كثرت فيه الدعاوى الباطلة ؛ أن نعود إلى الحق ، ونتأمل نعم الله سبحانه التى لا يمكن حصرها ، وأن نتَّقى الله ؛ ونحمده ، ونخشى غضبه ، ونقمته قال تعالى :

﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيِّبًا ، واتَّقوا الله الذى أنتم به مؤمنون﴾ . [سورة المائدة : الآية ٨٨]

إن الكفار يظلمون أنفسهم ، بكفرهم ؛ وإلحادهم ، ولا يتبصرون الحقيقة بجمالها ، وبداهتها ، ولو تركوا أنفسهم مع الفطرة السليمة لعرفوا أن رحمة الله سبحانه ، لا تشمل إلا المؤمنين الصالحين ، الذين تمتلئ قلوبهم بالمحبة ، وبنصرة بعضهم لبعض ، فيقبلون بإخلاص على كل عمل قويم حث عليه القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، إن الله عزيز حكيم﴾ .
[سورة التوبة : الآية ٧١]

شتّان بين المؤمنين ، الملتزمين بحدود الله ، وبالخلق الكريم وبين أولئك الملحدين ، لقد وصف الله سبحانه المؤمنين بقوله تعالى : ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله ، وبشّر المؤمنين﴾ .
[سورة التوبة : الآية ١١٢]

أما من يكفرون بالله ، فإن عذاب الله شديد .

قال تعالى : ﴿وإذ تأذّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إنّ عذابى لشديد﴾ . [سورة إبراهيم : الآية ٧]

إن أمل المؤمنين الصالحين ، أن ينعم البشرُ جميعا بمثل ما ينعمون به من الاطمئنان ، والرضى والسعادة ، بالإيمان الذى يعمر قلوبهم ، وباتباعهم شريعة الله سبحانه ، ذلك أنه إذا شاع الإيمان

والسلوك الإسلامى فى مجتمعاتنا حقق الإنسان لنفسه شعور السعادة والرضى فى الدنيا ، ونعم برضى الله وتوفيقه ، وبالجنة فى الآخرة ؛ لكن المؤمنين الصالحين إذا وجدوا إعراضا ولغوا ممن لا يسمعون القول فيتبعون أحسنه ، لا يملكون إلا الإعراض عنهم .

قال تعالى : ﴿وإذا سمعوا اللغو أعْرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم ، لا نبتغى الجاهلين﴾ .

[سورة القصص : الآية ٥٥]

ولا نملك إلا أن ندعو الله سبحانه أن يهدينا ويهدى البشر أجْمعين .

قال تعالى : ﴿ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾

[سورة غافر : الآية ١٤]

ولن تتحقق الهداية ، إلا بالعلاقة القوية بين الإنسان والكتاب العظيم ، القرآن الكريم .فهو أروع صديق ، وخير رفيق ، تعجز التأملات ، وتقصر الكلمات عن تصويره ، والتعبير عن عمق المشاعر تجاهه ، إن ترتيله ،وقراءته ، والعمل بآياته يشفى النفوس .. قال سبحانه :

﴿ونُنزِّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ . [سورة الإسراء : الآية ٨٢]

إنك إذا أقبلت عليه تقرأ شيئا من آياته الكريمة فى أى وقت ، شعرت بالطمأنينة ، وهدوء النفس ، ووجدت الهداية ، فآياته العظيمة ، لم تترك شأنا يهم الإنسان فى أمور دينه ، ودنياه إلا ذكرتْهُ لم تترك

سؤالا يمكن أن يطرأ على ذهن بشر إلا وأجابت عنه ، فما أجمل ، وما أروع أن نقبل على قراءته لنجد ما يعرفنا بربنا الخالق الأوحد ، العظيم جل جلاله ؛ الذى يستحق وحدهْ العبادة .

نقرأ القرآن فنجد ما يؤكد ربوبية الله وحده للوجود ، وما فيه ، ومن فيه ، فهو سبحانه القادر على النفع والضر ، والخلق والإنْشاء ، كما تشهد الأرض ، وتشهد السماء ، وكما يشهد كل شىء فى الأرض وفى السماء .

قال تعالى : ﴿قل من رب السماوات والأرض ، قل الله ، قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ، أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء وهو الواحد القهَّار﴾ . [سورة الرعد : الآية ١٦]

إن هذه الآيات الكريمة ، وغيرها ، تدفع الإنسان إلى تأمل آثار الله سبحانه المتجلية فى الكون ، فهو مهيمن على الوجود من فوق عرشه الأعلى رفع السماوات بغير عمد ، وسخر الشمس والقمر ، وفق تقدير محكم ، ومهد الأرض ، وثبتها ، وأجرى فيها الأنهار ، وأعدها لاستقبال الحياة .

نقرأ القرآن فيهدينا الله ، إلى الإيمان به ، والتسليم بأنه سبحانه خالقنا ، ويعلم كل شئوننا ويحيط بما فى السر وما فى الجهر ، ولا يغير واقعنا حتى نغيِّر واقعنا الروحى ، وواقعنا فى العبادة ،

وفى السلوك ، كما يرضى لنا ، وحتى نخْلِصَ أنفسنا كلها ، وواقعنا كله لله سبحانه .

﴿إن الله لا يغير ما بِقَوْمٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنْفسهم﴾.

[سورة الرعد : الآية ١١]

فقدر الله سبحانه العادل ، مرتبط بفعل الإنسان .

ونزداد يقينا أن الله سبحانه خلق الإنسان وقدّر له دورا على هذه الأرض ، ووضع له غايةً ، أهَّله لبلوغها ، بما منحه من استعدادات وقدرات وسخر له الكون لينهض بالخلافة عن الله فى الأرض ، وأراد له أن يصارع الشيطان، ويكدح فى الأرض ليؤدى دوره ، وينجح فى ابتلاء الله سبحانه له بالحياة ، و بالموت، ويرجع إلى ربه كاسبًا مأجورا.

قال تعالى : ﴿إن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلامٍ آمنين ، ونزعنا ما فى صدورهم من غِلٍّ إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بِمخْرَجين﴾.

[سورة الحجر : الآيات من ٤٥ – ٤٨]

نقرأ القرآن الكريم ، فنشعر بالأمان ، والسكينة والاطمئنان .. قال تعالى :

﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ، الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ، كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوَ عليهمُ الذى أوحينا إليك ، وهم

يكفرون بالرحمن . قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ، ولو أن قرآنا سيِّرَت به الجبالُ أو قطِّعتْ به الأرضُ أو كلِّم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأسِ الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ، ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحلُّ قريبًا مِّن دارهم حتىّ يأتِيَ وعدُ الله إن الله لا يخلِفُ الميعاد﴾. [سورة الرعد : الآيات من ٢٨ – ٣١]

نقرأ القرآن فنجد الملجأ والإجابة عن كل التساؤلات التى يصعب علينا معرفة إجاباتها ، لتضىء لنا دروبنا ، وظلماتٍ كثيرة تحيط بعالمنا .

قال تعالى : ﴿واتلُ ما أوحى إليك من كتاب رَبّك لا مبدل لكلماته ، ولن تجد من دونه ملتحدا﴾ [سورة الكهف: الآية ٢٧]

ما أحوجنا دائما إلى أن نقرأ ونتأمل آيات القرآن الكريم وأن نتعلم ونسترشد بأمثاله ، وما جاء به من أحسن القصص لأجيال ، وأجيال سابقة قبل الإسلام ، وبعده .. فنجد ما يهدينا فى حياتنا وما يضىء قلوبنا ، وما ينأى بنا عن كل جدلٍ عقيم إن القرآن الكريم نبع ثرى خالد ؛ أتى بكل مايضمن للإنسان السعادة ، وشفاء النفس ، وتحمل تشريعاته كل ما يهدى البشر . قال تعالى : ﴿ولقد صرَّفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شىء جدلا﴾ . [سورة الكهف : الآية ٥٤]

الرضا واطمئنان القلب

طالما أنصتُ إلى البشر من حولى ، وكثيرا ما يلفت انتباهى ذلك الإحساس الذى يعبر عنه الكثيرون والكثيرات ، والذى يؤكد عدم الرِّضا بما يمر عليهم من مواقف وأحداث الحياة . ويدفعنى ذلك إلى التأكيد على تلك الحقيقة الأساسية الهامة التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم ، وهى أن الرضا واطمئنان القلب ، لا يتحقق للإنسان إلا إذا عمق إيمانه بربه سبحانه وتعالى ، وتذكره دائما فى كل لحظة ، وفى كل قول وفى كل فعل وشكره على أنعمه .

إن الإنسان إذا رضى بحاله فقيرًا كان أو غنيا ، صحيح البدن أو عليلا ، رزق بالأبناء أم حرم منهم ، سوف يؤدى به شعور الرضا واطمئنان القلب إلى عدل الله سبحانه ، إلى شعور هادئ ، مطمئن ، يضمن له راحة البال ، وهدوء النفس .

إن الرضا يحقق السعادة ، أما السخط وعدم الرضا والتذمر بالحال فلن يعود على صاحبه ، إلا بذلك الإحساس من التعاسة ، لأنه يجحد نعمة الله العادل الذى يمنح البشر جميعا من أنعمه بالعدل ويمتحنهم ، فمن يرضى بحاله يجد السعادة فى الدنيا ، والجنة فى الآخرة .

إن المسلم يكون راضيا شاكرا لله ، والشكور من صفات الله تعالى ، ومن أسمائه الحسنى ، قال تعالى : ﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ .[سورة فاطر: الآية ٣٤]

وقال تعالى : ﴿ إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفرْ لكم والله شكور حليم ﴾ . [سورة التغابن : الآية ١٧]

إن الإنسان قادر بإرادته أن يعوِّد نفسه على الرِّضا فى مواجهة المواقف والأحوال التى لا يستطيع أن يغيرها . وأن يدرب نفسه على قبولها بشجاعة ، فيكون عندئذ حكيما ، يأخذ نفسه بالحكمة ، حين يعودها الرضا﴿ ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتى خيرا كثيرا﴾ .
[سورة البقرة : الآية ٢٦٩]

لقد كان الأنبياء راضين شاكرين ، ووصفهم القرآن الكريم فقال الله تعالى عن سيدنا « موسى » : ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ . [سورة إبراهيم : الآية ٥]

وعن سيدنا نوح قال تعالى :
﴿ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا﴾ .
[سورة الإسراء : الآية ٣]

على المؤمن دائما أن يشكر الله تعالى على ما منحه من رزق .
قال تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ﴾ .
[سورة البقرة : الآية ١٥٢]

وقال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون﴾ . [سورة البقرة : الآية ١٧٢]

أما هؤلاء الذين لا يشكرون الله ، ويبطرون ويجحدون نعمة ربهم ، لا يشعرون أبدا بالرضا فى حياتهم ، ويهلكهم الله . قال تعالى : ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ .

[سورة القصص : الآية ٥٨]

وقال تعالى : ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس﴾ . [سورة الأنفال : الآية ٤٧]

إن شكر الله سبحانه والرضا بكل ما يمر بنا من أحداث حزينة أو سعيدة ، وذكر الله ، والاطمئنان إلى رحمته وفضله يشرح الصدور ، ويزيح الهموم . قال تعالى : ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ .

[سورة الرعد : الآية ٢٨]

فالمؤمنون الراضون دائما ، يستبشرون وتطمئن قلوبهم فى كل الأحوال . ﴿يستبشرون بنعْمةٍ من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعدِ ما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ، فزادهم إيمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسْهمْ سوءٌ واتبعوا رضوانَ الله ، والله ذو فضل عظيم﴾ .

[سورة آل عمران : الآيات ١٧١-١٧٤]

الحب العظيم

حين نستمع إلى كلمة (الحب) أو تقع أعيننا عليها مكتوبة كما هي فى عنوان هذا المقال ، ربما تتوارد إلى بعض الأذهان صور ومعان شتى ، توحى إليها الكلمة ، أو تستدعيها . صور كثيرة ، وظلال لمعنى الكلمة ، أو إيحاءات لا تعنى دلالاتها الحقيقية ، وذلك بتأثير ما حملته الكلمة من معانٍ زائفة ظالمة لها من خلال أجهزة السينما ، والإذاعة ، والروايات والأشعار المبتذلة . مما يجعلنا نشعر بالحرج أحيانا من النطق بها ، لكننا إذا منحنا هذه الكلمة (الحب) دلالاتها الحقيقية الأصيلة العظيمة ، كانت لها صورها الرائعة ، وآثارها الجليلة فى نفوسنا .

ذلك أن الله سبحانه وتعالى أحبَّنا ، أحب البشر ولحبِّه لنا كرمنا عن كل مخلوقاته ، ومنحنا العقل الذى يعى ويفكر ، ويميز ، ويدفعنا إلى تعمير الكون وتجميله حولنا .

وأحبنا الخالق سبحانه فخلقنا فى أحسن صورة ، أحسن تقويم .

أحبنا الخالق تبارك وتعالى ففرض علينا العبادات ، وأنزل لنا « القرآن الكريم » على لسان الرسول : ﷺ حتى نتمكن من

خلال فهمنا وعباداتنا وعملنا ، أن نحيا حياة مطمئنة سعيدة ونجد الجنة جزاء لأعمالنا الصالحة فى الآخرة .

منحنا الله سبحانه وتعالى حبه بسخاء وكرم ، وأورد كلمة (الحب) فى القرآن الكريم معبرة عن هذه العاطفة السامية العظيمة ، بينه وبين عباده الصالحين فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿والذين آمنوا أشد حبًا لله﴾ . [سورة البقرة: الآية ١٦٥]

وقوله تعالى : ﴿قل إن كنتم تحبُون الله فاتبعونى يحببكم الله﴾ . [سورة آل عمران : الآية ٣١]

وقوله سبحانه : ﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ . [سورة المائدة : الآية ٥٤]

وقيل إن شاعر الصوفية الكبير « جلال الدين الرومى » بكى حين قرئت أمامه هذه الآية الكريمة تأثرا بالمعنى العظيم الذى تعبر عنه .

ومن الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر كلمة الحب ، قوله تعالى : ﴿إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ . [سورة القصص : الآية ٥٦]

وقوله تعالى : ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيانٌ مرصوص﴾ . [سورة الصف : الآية ٤]

إن الإسلام بعظمته قادر على احتواء كل ايديولوجيات الأزمنة فى الماضى والحاضر ، وبمنهجه العظيم القائم على « الحب الكبير »

من الخالق سبحانه لعباده وحبهم له ، هو الدين الحق الذى حفظ الله تعالى كتابه الكريم .

ومن خلال هذا الحب العظيم ، تنتشر كل معانى المودة والرحمة فى الأسرة والمجتمع والتى أكد عليها القرآن الكريم دائما .

قال تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ . [سورة الروم : الآية ٢١]

وحين يشيع الحب فى المجتمع ينتج ويعمر الكون حوله وينشر فيه كل جمال ، بما يعمر القلوب من اطمئنان وراحة بال .

إن الحب هو الفطرة التى خلق الله سبحانه الوجود على أساسها ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون﴾ .
[سورة البقرة : الآية ١٣٨]

هذه الفطرة السليمة تضمن تهذيب الروح . وحفظ القلب . والضمير الإنسانى الذى يقدر الخير ويحبه . وتقدر الحق وتسمو بالروح فتوحد الله توحيدًا نقيا خالصا ، وتسمو فى إدارة كل شئون الحياة .

وهذه الفطرة المجبولة على « الحب » العظيم النقى للبشر ، تحب حتى الجماد والأشياء . فالإنسان يجد نفسه مرتبطا وجدانيًا بالمكان الذى قضى فيه فترة من الزمن وبجدرانه قال الشاعر : (لك يامنازل فى القلوب منازل) وترك لنا شعراء العصر الجاهلى معلقات من القصائد الطوال يتغنون فيها بأطلال المنازل التى رحل عنها أحباؤهم والإنسان يحب الزمان . ويحن إلى الزمن الماضى ويتذكر أحداثه ، بما فيها من

مباهج ، وأحزان هكذا يكون الإنسان ، كما خلقه الله سبحانه بعاطفته النقية القادرة دائما على (الحب العظيم) ، وفى مجال الحديث عن تلك العاطفة العظيمة لا يمكن أن نغفل جماعة المتصوفة ، بما تركوه لنا من تراث عظيم فى الشعر والنثر ، تغنوا فيها بحبهم الكبير لله سبحانه نذكر منه قول (ابن عربى) :

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى

وقول (رابعة العدوية) :

أحبك حبين حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاكا
فأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواكا
وأما الذى أنت أهل له فكشفك لى الحجْبَ حتى أراكا
فَلاَ الحمد فى ذا وفى ذاك لى ولكن لك الحمد فى ذا وذاكا

إن التصوف ملكة نفسية يتمتع بها البعض من البشر . حيث تسمو قواهم الروحية .

ومهما اختلفت الأقوال والآراء حول التصوف والمتصوفة ، فنزعة الحب العظيم التى عبروا عنها ، تشير إلى ثروة الروح وثروة العقول وقد وضع الإسلام التصوف فى موضعه الذى يصلح به من ينتمى إليه ، حيث يجد فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ما يعينه على الوصول إلى القوى الروحية التى تسعده .

التقوى

لا أكون مبالغة فى قولى ، حين أقول بصدق : إن تأملاتى الطويلة فى دلالة كلمة (التقوى) كانت الدافع الأساسى لكتابة هذه المقالات ، التى أحاول فى كل منها تأمل أحد السلوكيات والقيم الإسلامية التى يحثنا عليها الخطاب الإسلامى ، من خلال « القرآن الكريم » ، والسنة النبوية المطهرة .

لقد لاحظت منذ طفولتى أثر « التقوى » على سلوك الإنسان ، كنت أراقب والدى رحمه الله الذى كان نموذجا من ذلك الجيل الذى اقتدى بالسلف الصالح فكان يعبر فى أعماله وأقواله عن الدين وتعاليمه وعلم أجيالا تذكر تأثرها به ، كان يحكى لنا دائما بدوره عن والده الذى كان عالما وأستاذا بالأزهر الشريف وكان من المتقين الصالحين ، أما والدتى التى أرجو لها دوام الصحة ، فكانت ولا تزال ترافق القرآن الكريم وتعبر فى أفعالها وأقوالها عن خشية الله . والتقوى التى تربت عليها منذ نعومة أظافرها .

لقد تنبهت منذ طفولتى إلى تلك الحقيقة الهامة التى تؤثر فى سلوكيات الإنسان وهى الحرص على رضا الله سبحانه والخشية من عقابه ، وببساطة شديدة أدركت أن الاهتمام بتطبيق شرائع

الدين بأداء الصلاة فى أوقاتها ، وقراءة القرآن الكريم والعمل بأوامره هو أساس الحياة فى جو أسرى يسوده الطمأنينة وحب الناس .

وحين عملت بالتدريس سنوات طوال كنت كلما شرحت وناقشت الطالبات أو الطلبة فى الآيات القرآنية الكريمة أو الأحاديث النبوية الشريفة لفتت نظرى بشدة تلك الحقيقة الأساسية التى مؤداها أن الخطاب الإسلامى يهدف دائما إلى تنظيم حياة الجماعة الإسلامية ، بما يحقق لأفرادها كل الاستقرار النفسى والسعادة فى الدنيا ، ورضا الله والجنة فى الآخرة ، وأن ذلك كله يتحقق بتقوى الله قال تعالى : ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء ، والكاظمين الغيظ ، والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين﴾ .

[سورة آل عمران : الآيتان ١٣٣ و ١٣٤]

إن الإنسان إذا اتقى ربه طهرت نفسه ، واهتم بعمل الخير ، وإذا ارتكب إثما سارع إلى طلب المغفرة ، وهو ينفق مما يمنحه الله دون أذى لمشاعر غيره ممن يحسن إليهم ، إنه يتقى الله فيكظم غيظه وغضبه دون حقد ، أو كراهية لغيره ، بل يعفو ويسامح دائما وينتصر على شهوات نفسه فلا يبخل .

وهكذا تكون (التقوى) منبعا لكل سلوك طيب ، والإنسان التقى يستعين بذكر الله سبحانه وتعالى ، حتى لا يترك فى قلبه

مجالا للشيطان ، ولا يقترب من أى خاطر شيطانى يقوده إلى الضلال .

قال تعالى : ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ . [سورة الأعراف : الآية ٢٠١]

إن خير سلاح يتسلح به المسلم ، ضد وسوسة الشيطان ، ونوازع هوى النفس ، الأمارة بالسوء ، وإغراءات من لا يخشون الله من البشر ، هو سلاح (التقوى) ، فإذا حسن إيمان المسلم ، عمق شعوره بتقوى الله ، ومخافة غضبه ، وعدم معصيته سبحانه فى قول أو فعل .

قال تعالى : ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾.

[سورة البقرة: الآية ١٩٧]

وقال سبحانه : ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾.

[سورة الأعراف: الآية ٢٦]

كما قال عز وجل: ﴿وتناجوا بالبر والتقوى﴾.

[سورة المجادلة : الآية ٩]

إن تقوى الله تضمن العمل الصالح وهى أيضا معيار تفضيل الله سبحانه لعباده .

قال تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثىٰ وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾.

[سورة الحجرات : الآية ١٣]

يوصينا الله سبحانه وتعالى بالتقوى، لتصلح أعمالنا ، وليرضى عنا .

قال تعالى : ﴿يا بنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح ، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .
[سورة الأعراف : الآية ٣٥]

إن الله سبحانه وتعالى قد جعل الحساب والجزاء وفقا لعمل الإنسان المبنى على تقوى الله فى كل قول ، وفعل ، وحركة أو سكون .

ونجد الكثير من الجزاء فى الدنيا متمثلا فى تيسير الله سبحانه وتعالى لعباده المتقين أما فى الآخرة فلا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون .

ويشير القرآن الكريم إلى ما حدث لأقوام سابقة فى التاريخ لنأخذ العظة والعبرة ، ونعلم يقينا أن الإنسان حين يتقى الله فى أعماله ينعم بالخير فى حياته والجزاء الطيب فى الآخرة .

قال تعالى : ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ . [سورة الأعراف : الآية ٩٦]

والبركات التى يعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين المتقين بها ليست بركات مادية فحسب ، إنما هى بركات فى المشاعر وفى النفوس حيث تشعر القلوب بالطمأنينة والراحة ، لذلك يجب العمل بمنهج الله وشريعته العظيمة وصالح لكل زمان ومكان قائم على تقوى الله وخشيته ، فإذا عمر قلب الإنسان بالإيمان خشى ربه وراقب نفسه فى كل سلوك ، أو قول أو فعل ، فناصر الحق ، وقاوم الباطل .

مواقف من الحياة

مثل غيرى من البشر ، مررت على مدى العمر ، بمواقف كثيرة منها ما كان له فى النفس عميق الأثر ، حتى هز الوجدان هزا ، ومنها ما أثار التأمل العميق ، ووصل بالروح إلى آفاق من السمو والإيمان ، والصلة الروحية بخالقنا سبحانه ، ومنها ما كان يأخذ النفس إلى دوامة الحياة . فيبتعد بها أحيانا عن ذلك العالم الروحانى العظيم ، عالم القرآن الكريم ، ومحاولة تأدية العبادات بما تتطلبه من هدوء ، وتأن وعدم تعجل ، رغبة للحاق بالعالم اللاهث حولنا ، حول ماديات الحياة ومطالبها ، لكننى أحمد الله إنى كنت حتى فى هذه المواقف التى تجذب الإنسان إلى ما هو دنيوى أستشعر تلك الصلة العظيمة بينى وبين ربى ، وأثق أنه لن ينسانى مادام ذكره ملء قلبى ، والشعور بقوته وقدرته سبحانه ، وتمنحنى القوة على مجابهة كل مواقف حياتى ، كنت أشعر بالتقصير كلما منعتنى الشواغل الدنيوية عن أداء الصلاة بالصورة التى يجب أن تكون عليها ، لتأتى بثمارها ، فتكون بردا وسلاما على القلب والنفس ، حين أتأمل بإمعان وخشوع كل كلمة من آيات القرآن أنطق بها ، وأشعر بخشوع فى كل سجود وركوع ، فالصلاة دعاء من الأعماق نتوجه به إلى الخالق سبحانه أن ﴿اهدنا الصراط

المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين﴾ . [سورة الفاتحة : الآيتان ٦ و ٧]

أشعر دائمًا إذا ما أديت الصلاة بصدق وتمعن وبهدوء النفس وراحة البال ، وحين أنتهى منها كأننى ألقيت بكل همومى وآلامى ، وطرحت آمالى وأمنياتى لدى الخالق سبحانه القادر على العون وإجابة كل مطلب ، للإنسان العابد الذى يذكره ويدعوه ، فيستجيب .

قال تعالى : ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ . [سورة البقرة : الآية ١١٢]

● وكثيرة هى تلك المواقف الروحية الرائعة التى مررت بها فى حياتى ، فجعلتنى أشعر من أعماقى بقدرته سبحانه واستحقاقه وحده للعبادة الخالصة ، والذكر ، آناء الليل وأطراف النهار فى كل كلمة ننطقها ، وفى كل عمل نقوم به ليكلأنا برحمته وتوفيقه ورضاه ، ولقد تأكدت من مواقف كثيرة أن الإنسان حين يخلص الدعاء لله يستجيب لدعائه بأسرع مما يتصور قال تعالى : ﴿ادعونى أستجب لكم﴾ . [سورة غافر : ٦٠]

فى المرة التى أنعم الله على بأداء فريضة الحج فى السبعينيات ، كنت أعمل بدولة الإمارات ، ورتبت مع والدتى وإحدى قريباتى مقابلتهما فى جدة وضمهما إلى فريق من أسر الزملاء والزميلات لأداء الفريضة واستحال معرفة موعد حضورهما إلى جدة حتى

وقت سفرنا وأدائنا للطواف والسعى بالمسجد الحرام بمكة ، ووجدتنى فجأة أصلى وعيناى تدمعان أمام الحرم الشريف طالبة من الله سبحانه تيسير لقائى بهما لتأكدى من عدم معرفتهما لظروف السفر أو الإقامة فلم يبارحا مصر ، قط ، ليس ذلك فحسب بل ربما لم يبرحا المنزل إلا للضرورة القصوى .

وفجأة فى فجر يوم وكان لابد عقب ذلك اليوم من تحرك المجموعة من مكة ، وجدتنى أصر على الذهاب مع رفقة من أسر صديقة إلى جدة وكأننى أشعر أن الله سبحانه لن يخيب دعائى فى اللحظة التى وصلنا إلى مطار جدة ، وجدت وسط خضم كبير من البشر والدتى وقد خرجت لتوها من الصالة وكأنها متأكدة أنها ستلقانى دون موعد سابق ، حتى حقائبهما لم يتسلماها بعد وانتهى الموقف وقتها . ومازلت كلما أذكره أشعر أنه لابد من التمسك بهذه الصلة الرائعة العميقة بينى وبين ربى وإحساسى به فى كل سلوك أسلكه . وفى كل لحظة تمر بى ، وألا أترك الحياة تبعدنى عن هذا الكنز الذى يمنحه الله سبحانه للإنسان حين تصفو نيته ، ويقترب منه ، ويحاول أن يسير على الطريق الذى جعله منهجا عظيما يهدى للتى هى أقوم من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وتأخذنى الحياة فأبتعد درجات عن هذا المنزل لا أنهل منه كثيرا ، فأقرأ القرآن ، أحيانا ، وربما أؤدى الصلاة بسرعة دون

تعمق ، وأناة ، وخشوع ، وتأمل .. وفجأة يأتى موقف آخر مثلا : أجدنى فى وقت من الأوقات وقد انتابتنى آلام مبرحة بأكتافى ، ولا أجد سببا عند الأطباء ولا علاجا شافيا ، وفجأة ألقى بالدواء وأجلس إلى القرآن أقرأ بتأمل ودعاء من الأعماق قال تعالى : ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا﴾ . [سورة الإسراء : الآية ٨٢]

وفجأة تذهب الآلام إلى غير رجعة وبعد إتمامى قراءة الأجزاء التى تيسر لى قراءتها وبعد الدعاء لله بتضرع ، وأمل ، ورجاء .

● بعد أن انتهيت من دراستى للدكتوراه ، وقفت ضارعة إلى الله سبحانه أن يلهمنى إلى ما فيه الخير ورضاه عنى ، فوجدتنى أميل إلى الاستقالة من عملى كمديرة للاتصال السياسى بالتربية والتعليم ، والتفرغ للاستزادة من الثقافة الدينية وأداء العبادات كما يجب أن تؤدى دون تسرع بتوجيه الارتباط اليومى بالعمل بكل ما فيه ، وفعلا فعلت وجدتنى أكثر ما أكون سعادة بقراءة القرآن بتمعن وأناة وبالصلاة فى أوقاتها بتؤدة وهدوء نفسى ، وجدت عالما من النور الوضىء يملأ حياتى ، وسكينة النفس تهون كل الأمور على نفسى ، وتشدنى إلى عالم رحب من السعادة بقراءة القرآن الكريم ، والكتب الدينية لكبار المفكرين العالمين وشعرت رغم صلتى بهذا العالم العظيم ، عالم القرآن الكريم ،

على مدى عمرى كله ، أن العمل اليومى كان يستنفد الكثير من جهدى فلا تكون الإفادة والسعادة والاستمتاع الروحى . بهذه الصورة التى أستشعرها .

● وفى ليلة شاهدت الدكتور مصطفى محمود ، على شاشة التليفزيون يروى قصة السيدة التى أسلمت وكانت فى رحلة إلى بلد عربى مع رفقة من الأجانب واستقرت بتلك البلدة وأصابها مرض السرطان وشخص الأطباء بعد كل الأشعات استفحال مرحلة المرض ، واستيقاظها فى الصباح فجأة على زوال المرض نهائيا ، بعد قضائها الليل فى الصلاة والتضرع إلى الله ، سعدت جدا بحديث الدكتور مصطفى محمود واستشعرت صدقه وروعته ، فى الوقت الذى يقابل الكثيرون مثل هذه المواقف التى تحدث لبشر ويحكون عنها بعدم الصدق ، وربما الاستنكار والسخرية . وهذا يرجع بلا شك إلى عدم محاولتهم أداء العبادات بالصورة التى يجب أن تؤدى بها .

اختيار الأصدقاء

لم يدع التشريع الإسلامى أمرًا من الأمور التى تصلح بها حياة الأفراد ، والجماعات ، فى أية بيئة ، وفى أى عصر إلا ذكره ، وشرحه ، بما يحقق السعادة لهم فى دنياهم ورضى اللّه سبحانه ، وجنة الخلد فى الحياة الآخرة ، الباقية كما اتضح من سنة رسولنا الكريم .. محمد ﷺ كل سلوك يرضى اللّه ، ويسعد البشر .

وحسن اختيار الأصدقاء ، من الأمور الهامة التى تؤثر فى حياة الإنسان ، لذا وجهنا « القرآن الكريم » إلى أهمية ذلك قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ .

[سورة آل عمران : الآية ١١٨]

إن صحبة الأصدقاء الملتزمين بتعاليم الدين ، تشجع الإنسان على الابتعاد عن كل ما يغضب اللّه ، ومن هنا كانت المسئولية هامة على عاتق الأسرة ، حيث توجه وترشد وتراقب الأبناء منذ الصغر ، لتغرس فى نفوسهم أهمية الفضائل ، ومحبة الخير ، والقيم الفاضلة ، التى نتعلمها من التشريعات الإسلامية العظيمة ؛ فيشب

الصغير على محبة الأخيار ، والألفة والبعد عن كل من لا يراعى قيم الدين فى سلوكه .

كما قال أحد الشعراء :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

إن مصاحبة المسلم الذى يراعى ربه فى كل سلوك ، وكل قول ، وكل فعل ، تدفع إلى عمل كل ما يصلح من شأن الفرد فى الحياة وقد حث القرآن الكريم على اختيار الأصدقاء الصالحين الأخيار ، الذين يعملون الصالحات ، ويبتعدون عن المنكرات .

وألا نترك صحبتهم ، ونرغب فى صحبة آخرين ممن يهتمون بمظاهر الحياة الزائفة ، ويغفلون عن ذكر اللّه والعمل بأوامره واجتناب نواهيه ، قال تعالى : ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكان أمره فرطا﴾ . [سورة الكهف : الآية ٢٨]

وأكد القرآن الكريم أهمية الود والألفة والأخوة بين المؤمنين ، حيث يجمعهم حب الله سبحانه ، قال تعالى ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا اللّه لعلكم ترحمون﴾ .

[سورة الحجرات : الآية ١٠]

أما خير مقياس للصداقة الطيبة ، فهو أن تكون دافعة إلى كل ما فيه خير ، ورعاية للحقوق ، وعملا بسلوكيات الإسلام التى

تنشر الوئام ، والرضى والسعادة بين الناس ، وحين يصلح عمل الإنسان ، وينشأ فى البيئة التى تؤكد فى فكره وسلوكه قيم الإسلام ، يهتدى إلى الرفقة الطيبة الصالحة .

حيث تتألف القلوب فى ظل العمل بسلوكيات وقيم الإسلام قال تعالى : ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن اللّه ألف بينهم إنه عزيز حكيم ، يأيها النبى حسبك اللّه ومن اتبعك من المؤمنين﴾ .

[سورة الأنفال : الآيتان ٦٣ ، ٦٤]

وحين يحسن إسلام المرء ، يهتدى إلى الصحبة الطيبة ، وحين تستظل الجماعة بروح الإسلام وتعاليمه يصلح حالها ، وتسود المحبة بين أفرادها ، وتنمحى البغضاء .

قال تعالى : ﴿واذكروا نعمة اللّه عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾ . [سورة آل عمران : الآية ١٠٣]

لقد ساءت العلاقات بين العرب قبل الإسلام ، فسادت بينهم الصراعات والعداوات ، فلما أرسل اللّه سيدنا محمدا ﷺ خاتم الأنبياء برسالته العظيمة ، اتحدوا تحت لواء الإسلام ، وزالت الخصومات ، وألف اللّه تعالى بين قلوبهم ، فنعموا بالأخوة الخالصة النقية ، التى حققت لهم العزة والمجد ، فما أحرانا بالسير على هذا الدرب ، واتباع ما أرشدنا إليه القرآن الكريم ، والرسول عليه السلام ، من ضرورة حسن اختيار الأصدقاء .

والصداقة التى تجمع الأصدقاء على أساس الالتزام بالسلوك الإسلامى بكل ما يمثل من قيم فاضلة ، تختلف تماما عن تلك التى تؤلف بين الأصدقاء الذين تجمعهم المعصية ، فهؤلاء يكونون فى الآخرة خصوما أعداء ، يتلاومون ، حيث يحاول كل منهم لوم الآخر .. قال تعالى ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ﴾ . [سورة الزخرف : الآية ٦٧]

وإذا تأملنا أحاديث الرسول عليه السلام ، نجد الكثير منها يؤكد أهمية حسن اختيار الأصدقاء . قال عليه السلام : « إنما مثل الجليس الصالح ، وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة » .

ومما يشير إلى عمق أثر الصداقة فى نفوس الأصدقاء ، وفى سلوكهم قول الرسول عليه السلام : « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .

والصداقة التى قوامها الاتفاق فى العمل بسلوكيات الإسلام العظيمة ، والتحاب فى اللّه سبحانه . هى تلك العلاقة العظيمة بين البشر الذين ينطبق عليهم قول الرسول ﷺ : « إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من اللّه تعالى ، قالوا يا رسول اللّه ، تخبرنا من

هم ؟ قال : « هم قوم تحابوا بروح اللّه على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ، فو الله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس » .

إن الأصدقاء الذين يتخذون من حب اللّه تعالى ، والإيمان به والاتحاد على العمل بتعاليم الإسلام ، تشملهم كل مشاعر المحبة والسماحة ، والوفاء ، فيحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، وينصحه النصيحة المخلصة ، ويسانده وقت الشدة قال عليه السلام : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما قيل كيف أنصره ظالما ؟ قال تحجزه عن الظلم ، فإن ذلك نصره » .

لقد دعا الرسول عليه السلام المسلمين إلى الصداقة والمحبة التى تجمعهم على العمل بسلوكيات الإسلام وتقوى اللّه سبحانه ، فتكون أقوالهم وأعمالهم فى الدنيا نقية طاهرة ، كما ينعمون فى الآخرة ، منهم إخوان متحابون لا يشغلهم إلا الحمد للّه ، والاعتراف بفضله ، والعمل بتشريعاته العظيمة ، ومنهم ممن قال عنهم سبحانه وتعالى : ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ .
[سورة الأعراف : الآية ٤٣]

إنهم ينعمون بالصداقة الجميلة فى الدنيا ، تلك الصداقة التى

تطرح عن كواهلهم متاعب الدنيا ، وأحزانها ، وهم فى الآخرة فى نعيم الجنة ، يشكرون اللّه على نعمائه .

قال تعالى عنهم :

﴿وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور﴾ .
[سورة فاطر : الآية ٣٤]

إن الصداقة المبنية على الولاء لشريعة الإسلام وآدابه وتأثيره فى النفوس والقلوب ، لمليئة بالثقة ، مُضْفيةً بكل المحبة والود الصادق على الأصدقاء شعورًا بالسعادة والهناءة والرضى .

الأُخوَّة

مالى لا أجد الكلمات التى تعبر بعمق وصدق عن مشاعرى حين أقف كثيرا أمام كل آية من آيات القرآن الكريم متأملة مأخوذة بروعة التعبير ، وجمال الصياغة ، وإعجاز المضمون .

إن آيات القرآن الكريم لا تهتم بعقيدة الإنسان وفكره فحسب بل تقدم له صورًا رائعة للمنهج العظيم لعلاقاته بمن حوله . حتى يعيش الأفراد والجماعات فى محبة وسعادة ، فى إطار أروع المشاعر النبيلة التى تربط بينهم ، ونحن فى هذا الزمان نجد أحيانًا ما نعجب له ، ونندهش ، من افتقار للعلاقات الحميمة بين بعض الناس ، وعدم حرصهم على العلاقات العظيمة ، التى تثرى الحياة ويعمر بها وجدان الإنسان ، فتحفز طاقاته للعمل البناء المثمر ، إن علاقات الأخوة النبيلة ، والمحبة العظيمة بين البشر تؤثر على سلوكياتهم ورؤاهم للحياة وعلاقاتهم بعضهم ببعض ، لذا نجد كثيرا من الآيات القرآنية الكريمة تضرب الأمثلة للأخوة والمحبة بين الأنبياء وأقوامهم .

قال : ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحًا . قال يا قوم اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره﴾ . [سورة الأعراف : الآية ٧٣]

كما قال سبحانه وتعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره﴾ . [سورة الأعراف: الآية ٨٥]

وقال تعالى : ﴿وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا اللّه ما لكم من إله غيره﴾ . [سورة هود : الآية ٥٠]

إن هذه الآيات تشير إلى مشاعر الأخوة التى يتحدث بها الأنبياء إلى أقوامهم وهم يقدمون النصح بعبادة اللّه وحده .

وقد أكد اللّه سبحانه وتعالى رابطة الأخوة بين المؤمنين جميعا .

فقال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا اللّه حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين اللّه لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ .

[سورة آل عمران : الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣]

صورت هذه الآية الكريمة مشاعر المؤمنين الذين تربطهم الأخوة فينعمون بآثارها فى حياتهم كما يكونون إخوة أحباء فى الجنة بفضل تعاونهم وأخوتهم النبيلة فى الحياة الدنيا ، واجتماعهم على حب الله سبحانه ، والعمل بتعاليمه ، وقد خلت قلوبهم من البغضاء ، والضغائن ، ولم تحمل إلا المحبة والأخاء .

قال تعالى : ﴿إن المتقين فى جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما فى صدورهم من غل ، إخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم

فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾ .

[سورة الحجر : الآيات من ٤٥ : ٤٨]

وتؤكد هذه الآية الكريمة أيضا أخوة المؤمنين بعضهم لبعض ، وأهمية مشاعر المحبة بينهم جميعًا ، والصلح بين من يتخاصم منهم .

قال تعالى : ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ، واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾ . [سورة الحجرات : الآية ١٠]

ومما يعمق الأخوة بين الناس ، أن يراعى كل منهم آداب الأخوة لتظل المشاعر صادقة جميلة دون شائبة تشوبها ، وتضم القلوب بالمحبة الصافية . ومن هذه الآداب صون اللسان فلا يذكر الإنسان أحدًا بسوء أو بذنب أو غيبة قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا اللّه إن اللّه تواب رحيم﴾ . [سورة الحجرات : الآية ١٢]

ومن آداب الأخوة تنقية النفوس من الأحقاد ، والعفو عن الأخطاء ، ومراعاة حقوق الغير .

قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى ، الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى ، فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ، فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾ .

[سورة البقرة : الآية ١٧٨]

ومما يوثق عرى الأخوة والمحبة أن تراعى الحقوق بين الإخوة فى المواريث ، ولم يغفل القرآن الكريم ذكر ذلك .

قال تعالى : ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهم السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ، وصية من اللَّه ، واللَّه عليم حليم﴾ [سورة النساء : الآية ١٢]

ما أعظم الإسلام ! ما أروع منهجه وتشريعاته ! إنه يوضح للإنسان القيم والسلوكيات التى تنظم علاقاته ، فى أسرته ، وفى مجتمعه ، فهو دين ودنيا ، عقيدة وسلوك لم يترك علاقة بين البشر إلا وضحها بما يضمن السعادة والرضا بين الأفراد جميعا بين الزوج وزوجها ، بين الإنسان وأمه وأبيه وأبنائه وأصدقائه وزملائه .

وضع الدستور الذى لا يترك الإنسان تائها ضائعًا لا يدرى ماذا يترك ، وماذا يأخذ ، وكيف يختار موقفه وطريقه فى الحياة ليحقق استقراره النفسى ، وهدوء البال - شرح وفصل كل شىء فى عبارات بليغة كل البلاغة فهى كلمات الخالق سبحانه .

قال تعالى : ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا﴾ .

[سورة الإسراء : الآية ٩]

ومن أسرار روعة وبلاغة القرآن الكريم أنه قريب الفهم ميسر حتى للقارئ العادى رغم عظم وبلاغة أسلوبه .

ما أجدرنا معشر المسلمين أن نحاول فى هذا العصر الذى تطغى فيه الماديات على سلوكيات البشر ، أن نعود إلى دستورنا العظيم فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، لنجتمع على المحبة النقية والأخوة الصادقة ، حتى نحظى بالسعادة ، وهناءة النفس فى الدنيا ورضا اللّه سبحانه وتعالى وجنة الخلد فى الآخرة .

حب المتصوفة

منذ صباى المبكر أحببت المتصوفة ، بل ولا أبالغ حين أقول : إننى منذ الطفولة ، وأثناء مرحلة الدراسة الابتدائية ، كنت أقع فى مكتبة والدى على كتب ضمت أشعار الكثيرين منهم مثل ابن الفارض ، ورابعة العدوية ، كنت أقرأ هذه الأشعار وأستعيد قراءتها بسعادة بالغة ، ولا أدرك تمامًا سر هذا الصدى العميق لها فى نفسى، وأدركت رويدا رويدا أن عاطفة الحب القوية التى تعبر عنها هذه الأشعار فى صدق وجمال ، ويسر ، هى سر إعجابى بها . ومن هنا جاء اهتمامى بالقراءة عن سيرة المتصوفة ، وشخصياتهم وأحوالهم . لكن ما دفعنى إلى المزيد من الاقتراب من عالمهم الثرى الساحر، دراستنا للفلسفة الإسلامية فى كلية الآداب ، وكنت دائما أحب أن أقرأ المراجع الكثيرة التى تعيننى على استيعاب الموضوعات من جذورها.. فكانت فرصة طيبة لى للولوج إلى عالم المتصوفة الرحب ، بما يحوى من أنماط خاصة للحياة ، وتفرغ تام للعبادة ، وإعراض عن زينة الحياة ومباهجها ، وتقشف وزهد .

وتعبيرات خاصة لغوية فى كتابتهم حاولت فهمها من (الرسالة القشيرية) للقشيرى ، وشعر أخاذ جميل ، ونثر ثرى بالحكمة والجمال ، والحب الإلهى .

ومهما اختلفت الآراء حول مدى منطقية أحوالهم ، وأفكارهم . فقد ظل هذا الجانب العظيم يجذبنى إليهم ، جانب الحب الكبير للخالق الواحد القدير ، سبحانه ، وإنتاجهم الأدبى الرائع المعبر عن هذا الحب .

إن الحب لديهم لم ينبع من الطمع فى الثواب والخوف من العقاب بل إنه حب عظيم عبرت عنه رابعة العدوية فى قولها :

« اللهم إن كنت تعلم أنى أعبدك طمعا فى جنتك فاحرمنى نعيم جنتك ، وإن كنت تعلم أننى أعبدك رهبة من نارك فعذبنى بنارك » .

إن علاقة الحب العظيم دفعت المتصوفة إلى التعمق فى التفكير ، والتأمل لاستطلاع روائع الكون وأسراره كما دفعتهم إلى دراسة آيات القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، حتى كثرت كتابتهم ، ومذاهبهم ، أما كثرة كتاباتهم فى مجال الشعر والنثر فهى جميلة عظيمة . وأما تنوع مذاهبهم فيرجع إلى أن الكثيرين دانوا بالإسلام وكان منهم الهنود والفرس ، وجماعات الحاميين ، والطورانيين والساميين ، والعرب وغيرهم ، ولما كان لكل شعب مزاجه فقد كان لكل فريق من المتصوفة رؤاها ، ويظل دائما الحب العظيم الذى جعلهم يتركون لنا زادا عظيما من الأدب الصوفى الشعرى والنثرى الذى يفيض حكمة ، وجمالا ، وعذوبة .

فما أجمل ما كتب الغزالى ، ومحيى الدين بن عربى ، وذو النون المصرى . وما أجمل تأملات الكثيرين من المتصوفة فى آيات القرآن

الكريم ، وتفسيراتهم لها ، وأخص المتصوفة المسلمين ، فهم دائما أصحاب المنطق السليم . إن أهم أثر يتركه التأمل لإنتاج كبار صوفية الإسلام هو ما يمكن أن أعبر عنه من خلال شعورى الخاص جدا فى هذا الجانب ، وهو عدوى الحب ، أو حب الحب الكبير العظيم المؤثر الذى كان السمة الأساسية لعلاقة المتصوف بالخالق سبحانه وتعالى ، حيث أغبط المتصوف وأعجب بعاطفته ، وأتوق أن أصل بروحى وعاطفتى إلى مثل ما وصل إليه .

إن إشارة بسيطة وفقا لما يتيحه المجال هنا لبعض كتب المتصوف الكبير (محيى الدين بن عربى) تفتح أمامنا عالمه الأخاذ .

من كتبه الكثيرة العظيمة (الفتوحات المكية) و (فصوص الحكم) وترجمان الأشواق والتجليات الإلهية كان لابن عربى تفسيره الخاص للقرآن الكريم الذى تأثر فيه بالتلاوة من القلب لا من طرف اللسان وذلك يجعله وارثا للرسول عليه السلام ، فبالورع والتقوى وتقليد الرسول عليه السلام يتهيأ القلب لفهم ما ينطوى عليه القرآن من معان .

إن نزول القرآن فى قلب المؤمن هو نزول الحق فيه ، فيكلمه الله سبحانه من سره يقول (حدَّثنى قلبى عن ربِّى من غير واسطة) وفى ذلك إشارة إلى قوله تعالى : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ .
[سورة البقرة : الآية ٢٨٢]

يقول ابن عربى فى كتابه : « الفتوحات المكـيَّة » إشارة إلى معنى الحديث الشريف الذى جعله المتصوفة شِعارًا لهم : « استـفـْت

قلبك ، ولو أفتاك المفتون » . فأحالهم على قلوبهم ، عصمة إلهيَّة لا يشعر بها إلا أهل المراقبة .

أما رأى ابن عربى فى الصلة بين (نفس الإنسان وبدنه) فقد أوضحه فى تفسيره للآية الكريمة : ﴿يأيها الإنسان ما غرَّك بربِّك الكريم ، الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركّبك﴾ .
[سورة الانفطار : الآيات ٦ – ٨]

فسرَّ قوله تعالى ﴿فى أى صورة ما شاء ركبك﴾ . بأن هناك تجانسا بين كل نفس وبين الجسد الذى تحل فيه ، تحقيقا لوجود أفضل ، فالله سبحانه يخلق كل شيء وفقا لعلمه ، وحكمته ، وعدله . قال ابن عربى : (إن الصورة المعدلة لا تقبل إلا روحا تشاكل مزاجها) « الفتوحات المكية » .

إن الله قد جعل الإنسان وعقله يحكم مزاج جسده ، فإن النفس لا تدرك شيئا إلا بواسطة هذه القوى التى ركب الله فى هذه النشأة فهى للنفس كالآلة فإن كانت الآلة مستقيمة على الوزن الصحيح ظهر حسن الصنعة بها إذا كانت النفس عالمة بالصنعة .

التفاؤل والتبشير

حين يقبل شهر رمضان كل عام تملؤنى سعادة جميلة مباغتة . وتفاؤل واستبشار ، ولا شك أن هذا الشعور ليس مقصورًا على وحدى .

إن من الأزمنة والأيام ، ما يحمل لنا الاستبشار والتفاؤل ، كما أن للأماكن التى تطؤها أقدامنا ما يشعرنا بالبهجة والسعادة ، والاستبشار .

ومن الناس من نجد فى أحاديثهم التفاؤل ، فتسعدنا رؤيتهم بملامحهم المستبشرة ، ولا عجب فى ذلك فإن الله سبحانه وتعالى خالق كل شىء ، يبشر المؤمنين فى كثير من آيات القرآن الكريم منها قوله تعالى : ﴿إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرًا كبيرًا﴾ .

[سورة الإسراء : الآية ٩]

ويقول سبحانه مبشرا المؤمنين بالجنة : ﴿بشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ . [سورة البقرة : الآية ٢٥]

ويبشر سبحانه وتعالى المؤمنين بالمغفرة والفضل الكبير قال تعالى : ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر ، وخشى الرحمن بالغيب ، فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ . [سورة يس : الآية ١١]

وبشر سبحانه وتعالى الصابرين بقوله الكريم : ﴿ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين﴾ . [سورة البقرة : الآية ١٥٥]

وبشر سبحانه وتعالى المحسنين فى قوله : ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم ، وبشر المحسنين﴾ . [سورة الحج : الآية ٣٧]

وقد بشرنا الله سبحانه وتعالى بإرسال الرياح ، ليعم المطر وتخرج الثمرات ، قال تعالى : ﴿وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات ، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ .
[سورة الأعراف : الآية ٥٧]

وجعل الله تعالى أنبياءه مبشرين بالهداية والجنة كما أنهم منذرون بالنار قال تعالى : ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ . [سورة سبأ : الآية ٢٨]

إن البشرى السارة تدخل السعادة والبهجة على نفس الإنسان قال تعالى : ﴿فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا ، قال ألم أقل لكم إنى أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ .
[سورة يوسف : الآية ٩٦]

ويصور القرآن الكريم أهل الجنة بأنهم يستبشرون بما أفاء الله عليهم بنعيم الجنة قال تعالى : ﴿وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة﴾ . [سورة عبس الآيتان : ٣٨ ، ٣٩]

ما أجمل أن نعتاد على سلوك التبشير والاستبشار والتفاؤل حتى يكون تأثيرنا جميلاً يسعد الناس برؤيتنا ، وبالتعامل معنا ونكون دائمًا مبشرين لا منفرين لمن حولنا فنسعد ، ونسعد الآخرين بوجودنا .

نحن والقرن الحادى والعشرون

ونحن نستقبل القرن الحادى والعشرين ، ونأمل فى غد مشرق سعيد ، نتأمل أحداث الماضى ، وصورة الحاضر ، فى عالمنا ، ونأمل أن يتمكن الإنسان من تحسين كل صور الحياة حوله .. ونتذكر تلك المسئولية العظمى التى يحملها ليعمر الكون الذى خلقه الله سبحانه وتعالى له ، فكان عليه أن ينهض بالأمانة ، فيعمل ، ويهتدى ويؤثر على غيره تأثيرًا طيبًا :

ونحن نستقبل القرن الحادى والعشرين ، لابد أن نتضامن جميعا لنأخذ أنفسنا بالالتزام الجاد للقيام بمسئوليتنا نحو بناء غدٍ مشرق سعيد .

وهذا لا يتأتى إطلاقا إلا من خلال الاهتمام والالتزام بدستور الإسلام العظيم القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة فى كل أقوالنا وأفعالنا . وحركاتنا وسكناتنا وكما تعودت دائما فى لقاءاتى مع القراء الأعزاء .

يسعدنى أن أؤكد المحور الثابت فى هذه المقالات وهو أن سلوكيات المسلم الذى يلتزم بتشريعات الإسلام وقيمه ، هى الضمان الوحيد لنجاحه فى اجتياز الطريق لسعادة الدنيا وجنة الآخرة ، وهذا التأكيد أحب دائما أن يكون من خلال الآيات

القرآنية الكريمة العظيمة ، وليس من خلال عرض بأسلوبى الخاص ، ولا شك أن هذه الآيات الكريمة التى تشير إلى القيم الإسلامية ، تنطق بصورة رائعة معجزة بعظمة وقدرة الخالق سبحانه .

ومن الآيات القرآنية التى تؤكد مسئولية الإنسان :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿تالله لتسألن عما كنتم تفترون﴾ .
[سورة النحل : الآية ٥٦]

﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾ . [سورة التكاثر : الآية ٨]

﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ، ومساكنكم لعلكم تسألون﴾ .
[سورة الأنبياء : الآية ١٣]

﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾[سورة الأنبياء : الآية ٢٣]

﴿أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ .
[سورة الزخرف : الآية ١٩]

﴿وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون﴾ .
[سورة الزخرف: الآية ٤٤]

﴿وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه﴾ .
[سورة الإسراء : الآية ١٣]

﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾ .
[سورة الإسراء : الآية ٣٤]

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ .
[سورة الإسراء : الآية ٣٦]

﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسئولا﴾ . [سورة الأحزاب : الآية ١٥]

﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ . [سورة الصافات : الآية ٢٤]

﴿ولا يسأل حميم حميمًا﴾ [سورة المعارج : الآية ١٠]

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ . [سورة فاطر : الآية ١٨]

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ . [سورة المدثر : الآية ٣٨]

هذه بعض الآيات القرآنية العظيمة التى تؤكد اهتمام الإسلام بمسئولية الفرد عن كل موقف وكل عمل يقوم به ، وكل لفظ ينطق به ، هذه المسئولية العظمى التى تتناسب مع تكريم الله سبحانه له .

وجعله خليفة له على الأرض يعمرها بعمله ، وإيمانه ، وقيمه العظيمة ، وأمانته ووفائه فى القيام بمسئوليته فى الخلافة وعدم اتباعه لأهوائه .

قال تعالى : ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ .
[سورة الحديد : الآية ٧]

﴿هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعًا﴾ .
[سورة البقرة : الآية ٢٩]

وقال تعالى : ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ .
[سورة آل عمران : الآية ١١٠]

إن شعورنا بمسئوليتنا ونحن نستقبل القرن الحادى والعشرين ،

شعور الفطرة السليمة ، والعقول السليمة الناضجة ، والنفوس النقية الطاهرة ، يجعلنا نتأمل أحداث التاريخ الماضية ، لندرك أن كل أمة بعدت عن القوانين الإلهية التى ذكرها القرآن الكريم ، وعن القيم الفاضلة التى حث عليها عاقبها الله سبحانه فمحاها من الوجود ، وصارت عدما بعد حياة ورمادا بعد تألق ، وازدهار .

ونحن نستشرف القرن الحادى والعشرين لابد أن نتنبه أن الطريق الذى لا شك فى أنه سيؤدى بنا إلى كل تقدم وازدهار وسعادة هو العمل بما جاء فى القرآن الكريم . كتاب الله العظيم والاقتداء بتشريعاته لتجد دائما ما يرشد العقل ويوجه وينمى الأخلاق ويهذبها ، ويغذى الروح ويعلى من شأنها وكذلك الاقتداء بسيرة الرسول ﷺ ، وأخلاقه وأحاديثه .

وهذا هو الطريق الذى لاشك قادر على أن يمنح البشر عالما تسوده المحبة والأمن والمودة والسلام ليكونوا عند قيامهم بمسئولياتهم الكاملة فى الاهتداء بالقرآن الكريم والسنة النبوية والعمل بقيمها وتوجيهاتها ، من هؤلاء الذين قال عنهم الله سبحانه وتعالى .

﴿الذين إن مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر﴾ . [سورة الحج : الآية ٤١]

طاعة الوالدين

من الملاحظ فى عصرنا هذا شكوى الكثير من الآباء والأمهات من معاملة الأبناء لهم ، وما تتسم به من عناد أو جحود أو تمرد أو عصيان أو غير ذلك من السلوكيات التى لم تكن سائدة فى الأجيال السابقة ، حيث كانت الطاعة المطلقة لآراء الوالدين والاحترام لهما ومراعاة مشاعرهما .

وأرى أن الأسباب الجوهرية لهذه التغيرات السيئة الطارئة على سلوكيات الأبناء أسباب كثيرة لكن أهم تلك الأسباب هو عدم اهتمام الكثير من الأسر ، والمدارس ، والمعاهد ، والصحافة ، ووسائل الإعلام ، أى عدم اهتمام كل هؤلاء بالمسئولية العظيمة المنوطة بهم وهى إرساء المبادئ الإسلامية فى توجيه وتربية الأبناء .

إن الفكر الإسلامى يقدم لنا من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ما يؤكد دائمًا أن جوهر الإسلام وهدفه هو إصلاح الفرد والمجتمع وإرساء القيم والمبادئ التى تضمن كرامة الإنسان وسعادته .

ومن أهم القيم التى تحكم السلوك البشرى ، علاقة الأبناء

بآبائهم وأمهاتهم وروابط المحبة ، والولاء والطاعة من الأبناء ، والتربية الإسلامية كمسئولية هامة على عاتق الآباء والأمهات .

إن الكثير من آيات القرآن الكريم توضح أساليب تعامل الأبناء الصحيحة لآبائهم وأمهاتهم ، والتى تقوم على طاعة المسلم لله سبحانه وتعالى لتعامله معهم ، ومراعاته لحقوقهم .

تورد الكثير من آيات القرآن الكريم الأمر بطاعة الوالدين مباشرة بعد الأمر بطاعة الله سبحانه وتعالى ، طاعة حب وولاء ، وإقرار بالفضل .

قال تعالى : ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئًا ، وبالوالدين إحسانا﴾ . [سورة الأنعام : الآية ١٥١]

وتؤكد الكثير من آيات القرآن الكريم أن من أعظم صفات المؤمنين الإحسان إلى الوالدين .

﴿ووصينا الإنسان بوالديه . حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾ .

[سورة لقمان : الآية ١٤]

وأمر الله سبحانه وتعالى برعاية الوالدين والإنفاق عليهما كأول من يجب على الإنسان رعايتهم والإنفاق عليهم من خير الله .

قال تعالى : ﴿يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ . [سورة البقرة : الآية ٢١٥]

حتى إذا كان الوالدان ممن لم يهدهم الله سبحانه وتعالى إلى طاعته ورضاه فلا يحق للأبناء الإساءة إليهما أو التلفظ بما يسيء إليهما أو يؤلمهما ، وإنما يجب إحسان القول لهما ومحاولة التنبيه إلى ما يرضى الله فإذا صعب إنصات الآباء والأمهات لصوت العقل والدين يكون إعراض الأبناء عن طريقهم .

قال تعالى : ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورًا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورًا﴾ .[سورة الإسراء : الآيتان ٢٨، ٢٩]

إن الطاعة المطلقة للوالدين واجبة فى كل الأمور ، إلا فى أمر واحد هو عدم طاعة الله ، أو الشرك به .

وسقوط حق الوالدين فى طاعة الابن عند أمرهما له بالشرك بالله ، لا يسقط حقهما فى حسن معاملتهما ، والبر بهما . وربما كانت طاعة وبر الابن المسلم الذى هداه الله لوالديه سببا فى هدايتهما إلى الحق .

قال تعالى : ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ .
[سورة لقمان : الآية ١٥]

إن قيمنا الإسلامية تهتم بتماسك الأسرة ، وتماسك الجماعة ،

ومن هنا كان تقليد سلوكيات الغرب ، بمادياته وبعده عن القيم الفاضلة لا يعود على حياتنا إلا بالتعاسة والتفكك .

إن علاقات الأسرة فى الغرب لا تسودها مشاعر الاحترام والمحبة بين الأبناء والآباء ، ولاشك أن حياتها وتقدمها أو تخلفها سيرجع فى النهاية إلى مدى التزامها أو بعدها عن القوانين الإلهية التى ذكرها القرآن الكريم والسنة النبوية .

الكلمة الطيبة

للكلمة فى حياة البشر أثرها ، وخطرها ، وأهميتها ولاشك أن كلمات الكتاب ، والأدباء ، والصحفيين ، لها أهميتها الكبيرة ، فهم يتوسلون بها ، لتوصيل أفكارهم ورؤاهم التى يكون لها آثارها فى نفوس القراء ، والمتلقين ومن هنا تأتى خطورة كلمات الكتاب ، التى لابد أن تعبر عن ضمير يقظ مخلص ، وقلم لا ينطق عن هوى ، أو ضلالة وكاتب يتقى الله سبحانه ، فلا تأتى كلماته بأية إيحاءات تؤثر سلبيا فى توجيه الشباب ، وفى فكرهم . أو تيسر لهم الغواية والضلال ، ولا تأتى كلماته محرضة على أذى بشر ،أو مزورة لحق ، مجملة لباطل . لابد أن تصدر كلمات الكاتب عن ضمير يقظ ، وفكر مستقيم مؤمن ، يتقى الخالق سبحانه ، فيحق الحق ، ويلتزم الصدق ويبتعد عن الصغائر .

ومما يؤلم النفس أننا كثيرا ما نقرأ مقالات لكتاب تفرد لهم مساحات كبيرة من الصفحات بجرائدنا ، وهم لا يتوخون فى كتاباتهم شيئا مما أشرت إليه من مسئوليات الكاتب ، فهم يحرضون بلا شعور بإثم ، على غيرهم من الكتاب . أو المشتغلين بالكتابة ، أو المؤثرين بفكرهم المختلف ، والواجب على الكاتب الجاد ،

الذى يخشى ربه أن ينأى بقلمه عن الهجوم على غيره ، وتسفيه رأيه ، أو التحريض عليه ، وأن يتقى الله فى كل كلمة يكتبها ، فهو مسئول أمام الخالق العظيم ، أن يقول الكلمة الطيبة ، التى تأتى بثمارها الطيبة ، فى أخلاقيات وسلوكيات المتلقين لكلماته ، سواء أكانت فى الصحافة أو الكتب ، أو وسائل الإعلام .

كما أن الفرد العادى ، الذى لا يعمل بالكتابة ، يكون مسئولاً عن كلماته التى ينطق بها ، وآثارها فى أقوال وسلوكيات من حوله .

إن للكلمة الطيبة قدرتها على التأثير فى عمل الخير ، كما أن للكلمة الخبيثة أثرها فى جانب الشر .

وقد عودنا القرآن الكريم ألا يترك أمرا من الأمور التى يهتم الإنسان بها فى حياته إلا ذكره ، ووضحه فى بلاغة وصدق ، وجمال .

قال تعالى فى شأن الكلمة وآدابها : ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت ، وفرعها فى السماء ، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار ، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾ .

[سورة إبراهيم : الآيات من ٢٤ – ٢٧]

إن الكلمة الطيبة تحدث أثرها الطيب فى النفوس ، وهى كالدوحة الوارفة الظلال ، العميقة الجذور . تظل آثارها ممتدة ، حيث

تتعلمها الأجيال من الأجيال ، فينشأ الناشئون على الإيمان الثابت ، والأعمال الصالحة .

أما الكلمة الخبيثة فلا ظل لها ولا أثر كالشجرة الخبيثة ، ثمارها مرة : ليس لها قرار ، هزيلة ، لا أساس لها ، ولا جذور صحيحة .

والأمثلة على الكلمة الطيبة كثيرة ، تبدأ من الإيمان بالله ، قولا يصدقه العمل ، حيث يتفرع من هذا الإيمان كل السلوكيات الطيبة كالنصح المخلص ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والحث على الإخلاص والأمانة ، والصدق فى الحديث ، وفى الشهادة ، وكلمة المحبة والصفح .. والصدق .

قال تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ .
[سورة فاطر : الآية ١٠]

وقال تعالى : ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم﴾ . [سورة المائدة : الآية ١١٩]

والآيات القرآنية الكريمة التى تحثنا على اتباع الحق ، وقول الصدق كثيرة .

منها قوله تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ . [سورة التوبة : الآية ١١٩]

إن الكلمة الطيبة ، تقوم على الصدق ، والتزام الحق قولاً وفعلاً

عقيدة ، وسلوكا ، حثا على الخير ، وصرفا عن الشر ، وصلحا بين الناس ، ودفعا للضرر عنهم .

والخالق سبحانه يوجهنا إلى أهمية قول الصدق . فالمسلم إذا ما ارتفع ضميره ، بِهَدْيٍ من الإيمان . وخشيته سبحانه لا يعبأ بمصلحة شخصية ، أو بانحياز لصديق أو قريب ليقول كلمة صادقة .

فكلماته دائما مع الحق ، والصدق قال تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ . [سورة الأنعام : الآية ١٥٢]

كما يحث المسلم على التزام الصدق والقول السديد ، ويعده بالمغفرة لذنوبه جزاء على صدقه . قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدًا ، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ [سورة الأحزاب : الآيتان ٧٠-٧١] والكلمة الطيبة والقول السديد فى صالح من يكون فى ولاية المسلم ، من يتامى الأقربين ، أو الغرباء ، أو عندما يحضر وصايا الغير لذرياتهم أو للأجانب عنهم . لا تغفله آيات القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ . [سورة النساء : الآية ٩]

والكلمة الطيبة الحانية لها أهميتها فى كثير من المواقف مثلا هى

هامة فى وقت تقديم الزكاة أو الصدقة ، فلابد أن يكون العطاء مقرونا بالكلمة الطيبة الحانية ، التى لا توحى بالمن ، ولا تؤذى المشاعر . قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ . [سورة البقرة : الآية ٢٦٤]

وقال سبحانه وتعالى : ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾ . [سورة البقرة : الآية ٢٦٣]

والله سبحانه يعد الصادق بتثبيته بكلماته الصادقة فى حياته ، وفى آخرته . قال تعالى : ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة﴾ . [سورة إبراهيم : الآية ٢٧]

إن الله سبحانه يثبت المؤمن الصادق على الحق واليقين ، فى الدنيا يثبته على العمل الصالح ، والخير ، والكلمة الطيبة .

وفى الآخرة يثبته على كلمة الإيمان ، والإسلام ، عند الحساب .
المسلم يقول الحق ويسانده ، ويرشد إليه ، ويشهد به ، وله .

ولا يكتم الحق ، ولا يخشى فى الحق لوما أو أذى . ولا يلبس الحق بالباطل ، ولا يتبع الظن ، ولا يقف فى وجه الحق ، وهو يعلم يقينا أن الباطل لا يقوى على الوقوف فى وجه الحق أبدًا .. قال تعالى : ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ . [سورة الأنبياء : الآية ١٨]

إن طاعتنا للخالق سبحانه توجب علينا قول الحقّ ونصرته واتباعنا

لسنة رسولنا الكريم ﷺ ، تهدينا إلى الاقتداء به فى صدق القول والفعل .

قال ﷺ : (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل بها له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى يظن أنَّها تبلغ ما بلغت ، يكتب الله تعالى عليه من سخطه إلى يوم يلقاه) .

ويقول ﷺ : (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

ويقول فى حديث آخر : (عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صِّديقا) .

ولا شك أن الإنسان المؤمن الذى لا يقول إلا الحق والصدق والكلمة الطيبة ، يجد الجزاء السريع فى اطمئنان قلبه ، وراحة ضميره .

تحريم إيذاء الغير

في هذه المرحلة التاريخية التى نعيشها ، يظهر بوضوح لكل من يتأمل ، ويفكر فى مجريات الأحداث بالعالم ، مدى تصدى فئات كثيرة فى أرجاء العالم ، لمحاربة الإسلام ، واستغلالهم المواقف ، أو صنعهم لها ، حتى يحاولوا الصاق التهم ، والافتراءات ، على الإسلام ، وهو منها برىء وهو منزه عنها كل التنزيه ، وهو بنفسه وقيمه وقرآنه العظيم المعجز ، وسيرة رسوله الكريم ، شاهد واضح على عظمته ، وسماحته ، وليس فى حاجة إلى دفاع أحد مهما وصلت بلاغته ، وقوة حجته .

وليس على من يريد الإيمان بذلك والوصول بيسر وسهولة إلى التسليم بصحته إلا أن يقرأ بنفس صافية ، ورغبة حقيقية فى معرفة الحقيقة دون افتراء ، أو جهل ، أو عناد ، إن الإسلام هذا الدين العظيم ، خاتم الأديان أراد بكل تعاليمه ، وتشريعاته ، أن يعيش البشر جميعا ، تظللهم حياة هانئة ، تسودها المحبة ، والرحمة ، والتكافل الاجتماعى والعلاقات الحميمة بين البشر .

ومن السلوكيات الكثيرة التى أكد عليها القرآن الكريم تحريمه إيذاء الغير .

قال تعالى : ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ . [سورة الأحزاب : الآية ٥٨]

وقد أمر الله سبحانه المسلمين بالابتعاد عن الأذى ، حتى إذا قدمنا الإحسان مقترنا بإيذاء شعور من نحسن إليه أبطل الأذى الإحسان . بل وضعف أثر الإحسان تماما وربما يكون قول المعروف خيرًا من الإحسان الذى يتبعه أذى .

قال تعالى : ﴿قول معروف ومغفرة ، خير من صدقة يتبعها أذى ، والله غنى حليم﴾ . [سورة البقرة : الآية ٢٦٣]

إن الأذى يبطل الصدقة ويمحو حسنتها ، كما يمحو المطر التراب من الحجارة .

قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ، فمثله كمثل صفوان عليه تراب، فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ . [سورة البقرة: الآية ٢٦٤]

وقد نهى الله سبحانه المسلمين عن إيذاء النبى ﷺ ولو دون قصد منهم ، بالبقاء فى مجلسه طويلا ، أو بالتفكير فى الزواج بإحدى زوجاته بعد وفاته .

قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستئنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحى

منكم ، والله لا يستحى من الحق ، وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، إن ذلكم كان عند الله عظيما﴾ . [سورة الأحزاب : الآية ٥٣]

لقد أكدت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة ضرورة كف الأذى كسلوك من السلوكيات التى لابد للمسلم أن يلتزم بها .

وما أصدق الدلالات العملية فى هذه الفترة من تاريخ العالم ، التى تؤكد عدم التزام غير المسلمين فى كل أرجاء العالم بهذه القيمة الإسلامية العظيمة ، عدم إيذاء الغير ، وذلك لأنهم لا يدينون بالإسلام ، ويعاندون الفطرة البشرية السليمة التى تنادى البشر ذوى النفوس النقية ، والعقول التى تعى وتتأمل وتفهم ، وهم يخشون الإسلام ويهابونه لضعف أصاب نفوسهم المريضة ، ووهن أضعف أرواحهم وضلالة خيمت على عقولهم ، فيضعون كل إمكاناتهم لضرب الإسلام والمسلمين فى كل مكان فى العالم .

لكن الله سبحانه ، قادر على نصرة المسلمين مهما كانت الأحوال .

وقد وجه القرآن الكريم الرسول عليه السلام إلى الصبر على أذى الكفار والمنافقين ، والتذرع بالإيمان بالله ، والتوكل عليه ، والإيمان والتوكل لا يعنيان السكون والسلبية أمام كل ما يحدث وإنما لابد من محاولة مساندة الحق ، والاجتماع على كلمة واحدة

ضد الباطل ، والوقوف مع المسلمين الذين يواجهون قوى شرسة ظالمة فى أنحاء كثيرة من العالم ، البوسنة ، الشيشان .

قال تعالى : ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبإ المرسلين﴾ . [سورة الأنعام : الآية ٣٤]

وقال تعالى : ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ودع أذاهم وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا﴾ . [سورة الأحزاب : الآية ٤٨]

إن المسلمين فى أنحاء العالم يواجهون حربًا نفسية ضارية ، ومازال الغرب وسيظل يسلط عليهم أفكاره التى تحاول زعزعة الإيمان من قلوبهم ، والتأثير على سلوكياتهم ونحن فى أمس الحاجة إلى التمسك بقيمنا الإسلامية العظيمة التى تضمن للفرد هدوء النفس ، وراحة الضمير ، وللجماعة الحياة السعيدة الآمنة الهادئة .. فى ظل التراحم والمحبة التى تحكمها قوانين سماوية عظيمة ، وضعها خالقنا ، وخالق كل شىء .

الدعاء

إذا واجه المرء مشكلة أو موقفا صعبًا لا يجد قط ما يشعره بالأمن والهدوء إلا ابتهاله ودعاءه إلى الله سبحانه القادر وحده على الاستجابة ، وإعانة الملهوف ، ومساعدة الضعيف ، وإزالة الكرب .

إن دعوة الإنسان ورجاءه لله سبحانه وحده ، قال تعالى :﴿له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ، ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾ .

[سورة الرعد : الآية ١٤]

إن الذى يدعو غير الله يكون مثله كالظمآن الذى يبسط كفيه إلى الماء يريد وصوله إلى فمه لكن الماء لا يبلغ فمه أبدًا .

ونجد من الآيات القرآنية أمثلة رائعة تشير إلى استجابة الله سبحانه القادر وحده لدعاء عباده منها هذه الآية الكريمة : ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه ، فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين﴾ .

[سورة الأنبياء : الآيتان ٨٧ ، ٨٨]

إن الله سبحانه قد استجاب لدعوة « يونس بن متى » أرسله الله تعالى إلى قرية نينوى من أرض الموصل فدعاهم إلى الله لكنهم تمادوا فى كفرهم فخرج من بينهم مغاضبًا لهم ووعدهم بالعذاب ، فلما تأكدوا أنه نبى لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ودعوا الله أن يرفع عنهم العذاب ، فاستجاب لهم الله سبحانه ورفع العذاب عنهم .

وذهب يونس عليه السلام مع قومه فركبوا فى سفينة تأرجحت بهم فخافوا أن يغرقوا ، فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم ليخففوا الثقل عن السفينة ، فوقعت القرعة ثلاث مرات على يونس .

قام يونس يتجرد من ثيابه وألقى بنفسه فى البحر فأرسل الله سبحانه وتعالى حوتا فابتلعه وأوحى الله إلى ذلك الحوت ألا يأكل له لحما ولا يهشم له عظما فإن يونس ليس لك رزقا ، وإنما بطنك تكون له سجنا ، ثم نادى يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت بكلمة التوحيد « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين » .

استجاب الله دعاء يونس ونجاه من الكرب والشدة ، وأمر الحوت أن يقذفه على الساحل . هكذا يستجيب الله سبحانه القادر لدعاء المؤمنين إذا وقعوا فى شدة ، ودعوه مخلصين . خاصة إذا دعوه بهذا الدعاء الذى يقر بقدرة الله سبحانه وحده على إجابة الدعاء .

قال ﷺ « دعوة أخى ذا النون إذ دعا وهو فى بطن الحوت ، ما دعا بها مؤمن إلا استجيب له » .

وفى رواية أخرى : دعوة ذا النون إذ هو فى بطن الحوت (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين) فإنه لم يدع بها مسلم ربه فى شىء قط إلا استجاب له .

وقال ﷺ : « إنى لأعلم كلمة لايقولها مكروب إلا فرج الله عنه . كلمة أخى يونس » .

وكان الرسول ﷺ « يدعو دعاءه لإزالة الكرب والغم « لا إله إلا الله الحليم العظيم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش العظيم » .

إن الإنسان إذا واجه موقفا صعبًا على نفسه ، أو معضلة لا يجد لها حلاً ، يبتهل إلى ربه ، ويجد عنده سبحانه الإجابة ، وكشف السوء وراحة البال ، وهدوء النفس .

لقد وعدنا الله سبحانه بإجابة دعاء من يداومون على عبادته ، فتسمو أرواحهم ويكون دعاؤهم مستجابًا مقبولاً عند ربهم .

قال تعالى : ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون﴾ .

[سورة البقرة : الآية ١٨٦]

إن هذه الآية الكريمة تؤكد قرب الله سبحانه وتعالى من عباده المؤمنين ، وسرعة إجابته دعوة سائليه .

قال سبحانه : ﴿أجيب دعوة الداع﴾ وهذا السياق العظيم المعجز فى الآية الكريمة يؤكد سرعة استجابة الدعاء .

وعن الدعاء واستجابة الله سبحانه وتعالى لطلب عبده المؤمن ، قال رسول الله ﷺ : « إن الله ليستحى أن يبسط العبد إليه يديه يسأله فيهما خيرا فيردهما خائبتين » . رواه أبو داود الترمذى – ابن ماجه .

وقال أيضا ﷺ : « ما على ظهر الأرض من رجل مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة إلا آتاه الله إياها ، أو كف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » رواه الترمذى .

كيف للإنسان أن ينسى الدعاء ، وطلب الرحمة وكف الضر ، من خالقه وحده ، القادر .

قال تعالى : ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون﴾ .

[سورة النمل : الآية ٦٢]

ومن العجيب أن الإنسان كثيرًا ما يجحد نعمة ربه أو ينساها فلا يذكرها ، فيخسر بذلك الكثير ولا ينعم بذلك الشعور الرائع بقربه من خالقه سبحانه الذى يلجأ إليه فى كل وقت بصادق الدعاء ، ويشعر بالاطمئنان وإجابة الرجاء .

قال تعالى : ﴿ادعونى أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين﴾ . [سورة غافر : الآية ٦٠]

والإخلاص فى الدعاء صفة من صفات الواثقين فى الله سبحانه قال تعالى : ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون﴾ .
[سورة غافر : الآية ١٤]

على المسلم دائما أن يلجأ إلى ربه ويدعوه بإخلاص وثقة كما دعاه الأنبياء فلبى لهم كل دعاء .

قال تعالى : ﴿اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء﴾ .
[سورة المائدة : الآية ١١٤]

هكذا دعا عيسى عليه السلام ربه .

وقد أوصانا رسول الله ﷺ بالدعاء حين أوصى معاذا فى حديثه الشريف : « يا معاذ أوصيك أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » .

وأننا عندما نقرأ القرآن الكريم نجد كثيرا من الآيات القرآنية التى تطمئن القلب وتريح النفس .

قال تعالى : ﴿ربنا إننا سمعنا مناديًا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ، وتوفنا مع الأبرار﴾ .
[سورة آل عمران : الآية ١٩٣]

وقال تعالى من الأدعية القرآنية : ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ . [سورة البقرة : الآية ٢٨٦]

طيب المأكل والمشرب

طيب المأكل والمشرب عنصر أساسى وهام بالنسبة لكل إنسان حتى ينعم بصحة البدن وسلامة الروح .

● وكما عودنا القرآن الكريم لم يتركنا دون إرشاد فى هذا الشأن الهام فقد وضح لنا الشروط الهامة التى لابد من توافرها حتى نحقق لأنفسنا طيب المأكل والمشرب .

أولها : أن يكون مصدر المال الذى ننفقه على الغذاء حلالاً طيبًا ، وقد توعد الله سبحانه وتعالى بالعذاب الأليم كل معتد على أموال اليتامى بغير الحق .

قال تعالى : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ . [سورة النساء : الآية ١٠]

وقال تعالى : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ .
[سورة البقرة : الآية ١٨٨]

وقال تعالى : ﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾. [سورة النساء : الآية ٤]

وأبشع وأفظع لون من ألوان أكل مال الغير ، الربا قال تعالى :

﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ .

[سورة البقرة : الآية ٢٧٥]

إن النفوس الخيرة الطيبة لا تستطيب المأكل والمشرب إلا إذا كان حلالا طيبا .

● وثانى الشروط لطيب المأكل والمشرب هو أن يكون حلالاً طيبًا لم يحرمه الله سبحانه وتعالى ، فمن المأكولات والمشروبات ما حرم الله لتأثيرها السيىء على صحة الإنسان وحياته كلها ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى لا يريد لمخلوقاته إلا كل خير وسعادة فمن المشروبات المحرمة الخمر .

قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ .

[سورة المائدة : الآية ٩٠]

أما المأكولات التى حرم الله سبحانه وتعالى أكلها وأثبتت الاكتشافات العلمية فى عصرنا هذا أثرها الضار جدًّا بالصحة فقد وردت فى قوله تعالى : ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ، فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم﴾ .

[سورة النحل : الآية ١١٥]

وثالث الشروط التى يتحقق بها طيب المأكل والمشرب تتضح فى الآداب التى يلتزمها الإنسان فى طعامه حتى يكون حلالا طيبا .

قال تعالى : ﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ . [سورة النحل : الآية ١١٤]

إن المسلم يشكر ربه ويأكل الحلال دون إسراف .

قال تعالى : ﴿يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ .
[سورة الأعراف : الآية ٣١]

وقال تعالى : ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى ، ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى﴾ .
[سورة طه : الآية ٨١]

ومن آداب الطعام ذكر اسم الله عند إعداده وعند تناوله وعند ذبح ذبيحته .

قال تعالى : ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ، وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه . وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ، وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك أعلم بالمعتدين﴾ . [سورة الأنعام : الآيتان ١١٨ و ١١٩]

لقدْ أحل الله لعباده أكل الطيبات وحرم كل ما فيه إضرار بصحتهم وبحياتهم .

قال تعالى : ﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه ، واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾ . [سورة المائدة : الآية ٤]

● وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتصدق بالأكل وإطعام المساكين .

قال تعالى : ﴿وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير﴾ . [سورة الحج : الآيتان ٢٧ ، ٢٨]

حسن الإنفاق

إذا سألتنى عن أهم سلوك لا أحب أن أتعامل مع صاحبه قط ، أو تربطنى به أية صلة ، أجبتك مباشرة ودون أدنى تردد (البخل) .

تأكدت طوال حياتى ، وتجاربى وعلاقاتى أن الإنسان البخيل يصعب التعامل معه ، ولا يسعد الإنسان بمعرفته . ليس ذلك لأنى أو غيرى يريد من الغير أن يغدق عليه عطاء ، بل لأسباب أخرى تماما ، ذلك أن البخيل تنعكس على كل سلوكياته صفات ذميمة تنبع كلها من محور ثابت لديه هو البخل .

إن شعوره مركز فى شخصيته وفى الاحتفاظ لها بكل شىء ، حتى المشاعر الحلوة الطبيعية يبخل بها .

مثلا إذا أحبت زوجة بخيلة زوجها ، فهى تريده أن يحبها هى فقط ، وهى تتألم وتتعب ، إذا أبدى محبته واهتمامه بآخرين ، فكان بارا بوالديه مثلا ، محبا لإخوته أو لأصدقائه .

إن حبها له بهذه الصورة يتحول إلى نقمة وعذاب ليس لها فحسب وإنما له أيضا .

وإذا تأملنا الآيات القرآنية الكريمة التى نهت المسلمين عن هذه الصفة الذميمة نجد الكثير من المعانى العظيمة .. قال تعالى ناهيا

عن البخل موضحا أن البخيل يطوق يوم القيامة بما بخل به فى الدنيا من نعم الله وفضله :

﴿وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى ، وما يغنى عنه ماله إذا تردى﴾ . [سورة الليل : الآيات ٨ - ١١]

وقال تعالى : ﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ، ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير﴾ .

[سورة آل عمران : الآية ١٨٠]

وقد تحدث القرآن الكريم عن المنافقين الذين تعهدوا بأن ينفقوا مما يعطيهم الله ، فلما أعطاهم ضنوا وأخلفوا : ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون﴾ .

[سورة التوبة : الآيات ٧٥ - ٧٧]

وقد استنكر القرآن الكريم سلوك البخيل الذى يحث غيره على البخل ويسخر ممن يوفقه الله إلى بذل جزء من ماله فى عمل الخير والبر .

قال تعالى : ﴿ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، والذين لا يجدون إلا جهدهم ، فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ . [سورة التوبة : الآية ٧٩]

قال تعالى : ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ، ويكتمون ما آتاهم الله من فضله ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينًا﴾ .
[سورة النساء : الآية ٣٧]

إن الإنسان الذى يحب أن ينهج السلوك القويم الذى يسعد به ويسعد من حوله يكون معتدلا فى إنفاقه ويتعهد نفسه بالتقويم فيبتعد عن الشح ، وأيضا عن الإسراف والتبذير ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ . [سورة الحشر : الآية ٩]

إن الإسلام يحث دائمًا على الاعتدال فى السلوك فإذا كانت الحياة بمباهجها وشهواتها تدفع الإنسان أحيانا إلى حبها فإن كبح جماح النفس أولى وأعظم .

قال تعالى : ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ .
[سورة آل عمران : الآية ١٤]

ما أجمل سلوك الاعتدال فى الإنفاق الذى تحدثنا عنه الكثير من آيات القرآن الكريم .

قال تعالى : ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ . [سورة الفرقان : الآية ٦٧]

قال تعالى : ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل

البسط فتقعد ملوما محسورا ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ .

[سورة الإسراء : الآيتان ٢٩ ، ٣٠]

- لقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلم بالاعتدال دائما والتوسط فى الإنفاق بين البخل والتبذير .

- قال تعالى : ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ، إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ، وكان الشيطان لربه كفورا﴾ . [سورة الإسراء : الآيتان ٢٦ ، ٢٧]

يا رسول الله

يا فارس كل عصر

●● لا شك أن كل من ينير الإيمان قلبه فيقرأ القرآن الكريم ، ويتعرف على السنة النبوية المطهرة ، وعلى خلق الرسول ﷺ وحياته ، بكل ما حفل بها من أحداث ومواقف يتعلم الدروس العظيمة ، ويزداد إيمانا ويقينا وسعادة ، ويتهذب ويحسن عملا ، ويرق روحًا .

●● حين نتأمل الأحداث العظيمة التى حدثت فى بدايات تاريخ الدعوة الإسلامية ، ومن أهمها ذلك الحدث الذى كان نهاية عهد تعرض فيه المسلمون للأذى والاضطهاد فكانت « الهجرة من مكة إلى المدينة » .

●● كانت الهجرة الأولى فى الحبشة حين قابلت قريش الدعوة الإسلامية ، بالجهل والحمق ، والطغيان والعناد .

●● نستروح نسمات الإيمان التى عمرت بها قلوب المسلمين الذين أخلصوا لله ، فكانوا أمثلة للإيمان والتضحية واستجابوا لقول الرسول ﷺ « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكا عظيما لا يظلم أحد عنده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه .. » .

●● وكانت بداية الهجرة إلى الحبشة فى شهر رجب من السنة الخامسة بعد الهجرة .

وأول ما نتعلم حين نتأمل دروس الهجرة ، حسن الاستجابة والطاعة لأقوال الرسول ﷺ الذى اختاره الله سبحانه وتعالى بشيرا ونذيرا .

●● ما أعظم الفرق بين الكافر والمكابر ، والمسلم المطيع أما الكفار فقد قال عنهم القرآن الكريم : ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا﴾ .

[سورة الإسراء : الآيات ٩٠ - ٩٣] .

ونقف كثيرا لنتأمل ما تحمَّله المسلمون من إيذاء المشركين ، ونتأمل اتباعهم للقدوة الحسنة ، والمثل العظيم ، الرسول الكريم ، الذى أثنى عليه الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ . [سورة القلم : الآية ٤]

●● فى موسم الحج عرض الرسول ﷺ القرآن الكريم على بعض من الأنصار فهداهم الله وكانوا دعاة له فى يثرب ، وكثر أتباعه وأنصاره فى المدينة .

●● وفى موسم الحج الثانى خرج منهم جماعة للقائه وبايعوه على الإيمان والنصرة وطلبوا منه الهجرة إليهم هو وأصحابه .

●● أمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجرة معه من مكة إلى المدينة ، فأزمعت قريش قتله وجعل دمه مفرقا بين القبائل ، لكن الله سبحانه حفظه وقال فى كتابه الكريم : ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين﴾ . [سورة الأنفال : الآية ٣٠]

●● إننا حين نتأمل أحداث الهجرة والمواقف التى أحاطت بالهجرة نزداد إيمانا بهذا الدين العظيم الذى لم تستطع العقلية الجاهلية فى البداية أن تستوعب ما حمله من دعوة إلى التوحيد ، وبعد عن عبادة ما لا يملك نفعا ولا ضرًا ، والالتزام بالقيم العظيمة التى تضمن للإنسان السعادة فى الدنيا والآخرة .

●● إن تأملنا فى أحداث الهجرة يزيد من تمسكنا بما دعا إليه الإسلام العظيم من سلوكيات تقترب من كل ما هو نبيل وجميل وتبتعد عن كل ما هو قبيح ورذيل .

●● إننا نحب مكة كما أحبها الرسول « عليه السلام » فرغم ما واجه من صعاب من بداية الدعوة بها ، قال عندما خرج منها ليلا : « والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله ، وأحب بلاد الله إلى ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت » .

●● فى ذكرى الهجرة نتعلم من إيمان الرسول ﷺ أهمية الإيمان

والصبر ، والعمل بكل ما أمرنا به الله سبحانه وتعالى من سلوك قويم ونثق تمامًا فى عون الله وحمايته ورعايته وتأييده .

●● لا نملك فى ذكرى الهجرة إلا أن نحييك يا حبيبنا يا رسول الله ، يا فارس كل عصر وكل زمان ، ونذكرك دائما ، ونذكر عظمة هجرتك غير هياب ولا وجل ، لنشر الدين العظيم والقرآن الكريم ، ومعك رفيقك أبو بكر الصديق « رضى الله عنه » الذى نتعلم منه كيف تكون عظمة الصداقة والمحبة بين البشر .

●● نحييك يا حبيبنا ليس بالكلام فحسب بل ندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا إلى السير على دربك وسنتك العظيمة .

المرأة في ظل الإسلام

تقف المرأة فى عالمنا المعاصر حائرة بين تيارات متضاربة عجيبة فنسمع ونرى بعضا من الكاتبات فى عالمنا العربى ، يتحمسن للكتابة عن المرأة ، وعن (الأدب النسائى) ، وعن حقوق المرأة .. الخ وكأن المرأة كائن غريب لها عالمها الخاص ، المنفصل تماما عن عالم الرجل .

وتارة أخرى نسمع ونرى الكتاب الذين يكتبون عن المطالبة بالحرية الكاملة للمرأة ، حتى تواكب حضارة العصر ، وأنه ليس هناك ضير من الملابس الكاشفة عن جسدها ، فالمرأة « المتحضرة » فى الغرب ، ترتدى ما يحلو لها .

وفى ذات الوقت نجد من يدعون إلى عودة المرأة إلى البيت وعدم ضرورة تعليمها ، أو عملها ، فقد أفسد العلم والعمل حياتها . وبين كل هذه الآراء المتضاربة تقف المرأة حائرة .. من هنا كان لابد من وقفة تأمل سريعة ، وفقا لما يتيحه المقام ، لكنها تحتاج من كل منا ذكرا أو أنثى إلى وقفات طويلة ، وتأملات ومحاولات للوصول إلى الحقائق التى لا يريحنا إلا الاهتداء بهديها ، ولا يرضينا ، ويطمئن قلوبنا إلا الارتواء بريها ، والعمل بما جاء فيها .

هذه التأملات والوقفات عند ما يقدم لنا الدستور العظيم الذى لا يبلى ، ولا يفنى ، ولا يستحدث ، القرآن الكريم .. ذلك أن الله سبحانه ، خالقنا العظيم ، ارتضى الإسلام خاتما للأديان ، والقرآن الكريم دستورا صالحا للحياة فى كل زمان ومكان ، نتعلم ونهتدى بهديه .. ونستضىء بسنة نبيه محمد ﷺ خاتم الرسل .

إن الإسلام العظيم لم يفصل بين معاملته للمرأة ، ومعاملته للرجل ، ذلك الفصل الذى يتوهمه الكثيرون .. وإنما أراد الخالق سبحانه أن يكون أصل البشرية نفسا واحدة ، وطبيعة واحدة ، وفطرة واحدة ، ثم بث منها رجالا ونساء ، ليكون المجتمع ، وتعمر الحياة بالأبناء والحفدة قال تعالى : ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ .

[سورة النحل : الآية ٧٢]

وقال تعالى : ﴿يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ .

[سورة النساء : الآية ١]

إن مصدرنا جميعا من أصل واحد ، ونفس واحدة ، فالمرأة نفس خلقت لنفس ، وشطر يكمل شطرا وليكونا زوجين متكاملين ، متحابين .

قال تعالى ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾
[سورة الروم : الآية ٢١]

إن كلا من الزوج ، والزوجة ، يجد فى الآخر سكن النفس وهدوء البال ، وهذه العلاقة الحميمة من المودة والرحمة والمحبة ولكل منهما دوره الهام فى حياة الأسرة ، والمجتمع ، والأبناء ، والأحفاد .

ما أعظم وما أروع القرآن الكريم وتشريعاته التى كفلت للمسلمين كل ما يضمن لهم السعادة فى الدنيا ، ورضا الله سبحانه وتعالى والجنة الخالدة فى الآخرة .

أما المرأة ، فما أعظم تشريعات القرآن الكريم التى أرادت لها الكرامة والعزة .. إنها لم تلق فى ظل عصر من العصور السابقة ، ولن تجد أبدا فى عصور لاحقة ما ضمنه لها القرآن الكريم وتشريعاته من تكريم ، فهو لم يعتبرها بشرا كريما فحسب وإنما شرع ما يضمن لها أعظم التكريم .. وأعز التبجيل .

أعطى الإسلام المرأة كل الحقوق التى للرجل ، وزاد لها حقوقا أخرى عند الرجل ، مزيدا فى حمايتها ، ورعايتها .

فقد أعطاها كل الحق فى حماية الرجل لها ، ورعايتها معنويا ، وماديا ..

وأى تكريم وأى اجلال ، واعزاز لها حين أمر القرآن الكريم

بغض البصر احتراما للمرأة وتوقيرا لها ، وحين أمر المرأة بغض البصر عن الرجال لمزيد من التوقير والاحترام لها .

وحين أمر المرأة بالاحتشام وعدم التبرج فى مظهرها وملبسها وزينتها للبعد عن الفتنة ، ولضمان كرامة الرجل والمرأة على السواء .

قال تعالى موجها الخطاب للرجال : ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ، إن الله خبير بما يصنعون﴾ .
[سورة النور : الآية ٣٠]

وقال سبحانه وتعالى موجها الخطاب للنساء : ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ .
[سورة النور : الآية ٣١]

هناك الكثيرون والكثيرات ممن يتعدون عن الحقائق والبديهيات الواضحة حين يناقشون (زى المرأة المسلمة) ، مدعين أن الأمر بالاحتشام والحجاب خاص بزوجات النبى ﷺ ، والحقيقة الواضحة أن الأمر ينسحب على النساء جميعا ، وحتى حين خصّ الله

سبحانه وتعالى « نساء النبى » كان ذلك ليجعلهن مثلا يقتدى بهن المؤمنات فى كل ما يضمن لهن الاحترام والوقار ، والأمان من نظرات ذوى القلوب المريضة ، حرصا على كرامة المرأة ، وعدم خدش حيائها وحمايتها ، واغلاق كل أبواب الفتنة ، التى تسبب مشاكل المجتمع قال تعالى : ﴿يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما﴾
[سورة الأعراف : الآية ٢٧]

إن المظهر الوقور المحتشم يحقق للمرأة الرضى عن نفسها ، والاحترام من النساء والرجال على السواء ، ورضى وتوفيق الله سبحانه فعليها أن تغطى جميع بدنها إلا الوجه والكفين .

قال ﷺ : « يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا الوجه والكفين » ..

ويجب ألا يكون الزى زينة فى نفسه يلفت النظر ، ولا يكون شفافا لقوله ﷺ : « سيكون فى آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسمنة البخت » .

ومن تكريم الإسلام للمرأة ، ودورها الهام فى الحياة ، انه منحها حق العلم والتعليم ، ولم يفرق بينها وبين الرجل فى طلب العلم أو العمل بصورة تضمن احترامها ، وتقدير مكانتها ، مما يؤكد أن موقف الإسلام من المرأة هو نفس الموقف من قضايا الإنسان عامة فى الحياة كلها قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقا

يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم ، رضى بما صنع ، وإن العالم لتستغفر له ما فى السموات ، ومن فى الأرض ، حتى الحيتان فى الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وأن العلماء ورثة الأنبياء ، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ حظا وافرا » .

وقال تعالى : ﴿قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب﴾ . [سورة الزمر : الآية ٩]

كانت النساء تجتمعن فى مسجد الرسول عليه السلام حتى يسمعنه ، ويصلين معه ، ويتعلمن منه .

وكان لكثير من النساء دور عظيم فى العلم والتعليم والعمل ، وقد شاركت المرأة فى المعارك فى عهد الرسول ﷺ .. ومواقفها لا تنسى فى معركة القادسية .

ما أبعد البون بين موقف المرأة فى ظل الإسلام ، وموقفها دون تكريمه واجلاله لها .

قبل ظهور الإسلام ، فى الجاهلية ، عاشت تحت وطأة الظلم حرمت من الارث ، ومنعت فى حالة الطلاق أو وفاة الزوج من الزواج وورثت كما يورث المتاع فى حين كان الرجل يتزوج بمن يشاء ، وبأى عدد من النساء .

وكانت المرأة توأد خوفا من العار ، أو لأنها سوداء ، أو برصاء

أو خشية من الفقر ، وكانت تشترى وتباع وتكره على الزواج وتورث ، وتملك ، ولا تملك .

وفى عصرنا الحديث إذا ما نظرنا إلى ما آل اليه حال المرأة فى دول الغرب التى اعتبرها الكثيرون قد وصلت إلى قمة التطور والرقى .

نجد أن المرأة قد ضاعت أنوثتها ، وتوقيرها ، فهى تعمل فى الحانات وفى أى مكان ، وليس لها حقوق خاصة فهى محرومة من الميراث فى كثير من البلدان ، مطالبة بكفالة نفسها حين تبلغ سنا معينة .

وهى تفقد اسمها وشخصيتها المدنية ، عند زواجها ، ولا يكون لها أهلية التعاقد أو التملك وإجراء العقود من بيع وشراء فى كثير من دول الغرب .

وليس هناك من القوانين ما يضمن صيانة شرفها فلا عقوبة على من يغدر بها أو يعتدى عليها ، إلا إذا كانت قاصرا .

أين ذلك كله ، من تلك الحماية ، والرعاية ، التى منحها الإسلام للمرأة حين جعل لها كيانا اقتصاديا مستقلا ، فهى تستطيع أن تمتلك ، وتتصرف بنفسها ، وبلا وسيط ، وقد نص القرآن الكريم فى كثير من آياته الكريمة على حقوقها فى الميراث ومن أمثلة ذلك الآيات الثلاث من سورة النساء التى تتضمن أصول الميراث ، ثم انبثقت منها فروع وضحتها السنة النبوية الشريفة .

قال تعالى : ﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك ، وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث ، فإن كان له إخوة فلأمه السدس ، من بعد وصية يوصى بها أو دين ، آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ، إن الله كان عليما حكيما﴾ .
[سورة النساء : الآية ١١]

وقال تعالى : ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد ، فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ، وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله ، والله عليم حليم﴾ .
[سورة النساء : الآية ١٢]

وقال تعالى : ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة ، إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك ، وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شىء عليم﴾ . [سورة النساء : الآية ١٧٦]

فأى تكريم وأى إجلال وتعزيز ما حظيت به المرأة فى ظل الإسلام .

وأى جمال وأى إجلال ، ذلك الذى أضفاه الإسلام على المرأة .

وما أعظم وما أروع القرآن الكريم وتشريعاته التى قدمت للمسلم ، وللمسلمة ، كل الآيات العظيمة التى تضمن لكل منهما عند اتباعها ، السعادة فى الدنيا . والجنة الخالدة ورضى الله سبحانه وتعالى فى الآخرة الباقية .

الإسلام والطفولة

إن مرحلة التلقى هى مرحلة الطفولة الأساسية التى تلعب دورا رئيسيا فى تكوين شخصية الفرد وهى تبدأ من الأسرة حيث ينهل أهم المبادئ والسلوكيات من خلال توجيه الأب والأم والأخ الأكبر .

إن الطفل يتعلم من كل هؤلاء السلوكيات والآداب ، والعقائد والعبادات ، وبقدر اهتمام الأسرة بتربية أبنائها تكون أجيال المستقبل .

قال الشاعر :

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عـوده أبوه

إذا عاش الطفل بين أم صالحة وأب صالح يرعى كل منهما أمور الآخر ويقوم كل منهما بواجباته نحو ربه ، ونحو أسرته ومجتمعه ، ينضج فردا صالحا لأن الطفل لبنة طيبة طيِّعة والأسرة هى المسئولة الأولى عن مستقبله .

حقا تتداخل عوامل أخرى مع الأسرة فى مسئوليتها حين يكبر الطفل فتكون المدرسة والكلية أو المعهد لكن تظل مهمة الأسرة أساسية لها الأثر الأعظم والأعمق فى تكوين شخصيته .

من هنا كان اهتمام الإسلام بكل التشريعات التى تضمن حسن تربية الأطفال وتعهدهم حتى قبل وجودهم فى الحياة ، فمنذ البداية حث الشباب على اختيار الزوجة الصالحة .

قال الرسول ﷺ : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » .

لقد أراد الإسلام أن ينشأ الأبناء فى بيت مسلم يحافظ على الإسلام وسلوكياته لذلك حرم على المؤمن أن يتزوج مشركة كما حرم على المؤمنة أن تتزوج مشركا .

قال تعالى : ﴿لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾

[سورة البقرة – الآية ٢٢١]

لقد أراد الإسلام للطفل أن ينشأ فى بيت يرعاه خير الرعاية ويحفظه ويضمن الحصانة والطهارة وأن ينشأ نتيجة علاقة شرعية بعيدا عن جريمة الزنا الشنعاء ويضمن للطفل ثبوت النسب إلى الوالدين حتى لا يواجه الحياة عاجزًا لا ولى له ولذلك يؤكد الإسلام على ضرورة الاستقامة والعلاقات السوية الشرعية بين الرجل والمرأة حفاظا على الطفولة التى هى العنصر الهام فى تكوين الأجيال من شباب المستقبل .

لقد اهتم الإسلام بحق الطفل فى ثبوت نسبه إلى أبيه ، فى

حال إنكار الأب لبنوته أوجب الإسلام تدبير أمر الطفل واكتفى فى ذلك بشهادة شاهد مؤمن ، أو وثيقة وعد بالزواج أو علانية لصلة بين الرجل والمرأة يشهد بها ، كل ذلك وقاية للطفولة من التشرد والضياع .

لقد اهتم الإسلام بنشأة الطفل فى بيت مستقر قائم على احترام لقواعد الإسلام ، يعمره الإيمان ويسوده التفاهم وأن يكون له اسم وينسب إلى الأب .

قال تعالى : ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما﴾ .

[سورة الأحزاب : الآية ٥]

وقد أوجب الإسلام على الأب أن ينفق على طفله وهو نطفة فى بطن أمه حتى إذا مات الأب تظل نفقة الأم الحامل على من ورث الأب المتوفى . أما الأب الحى فيظل مكلفا بالإنفاق على ابنه حتى يستطيع الابن الارتزاق وهكذا نجد الإسلام دائما يسبق كل القوانين فى العالم مهما اجتهد فيها المجتهدون وحاولوا الزعم أنهم يرعون حقوق الطفولة . هكذا نرى روعة الإسلام وحرصه على الطفولة وعدم تشردها أو إرهاقها بالعمل فى سن صغيرة .

كما أوجبت قوانين الإسلام العظيمة على المجتمع المسلم التعاون والتكافل لرعاية الطفل الذى يعجز والده عن رعايته ، فالمسلمون

مستخلفون فى الأرض وعليهم مساعدة غيرهم حتى يظل المجتمع المسلم دائما مجتمع تضامنٍ وتحَاب لتنشأ أجيال قادرة على الاعتزاز بقيم الإسلام العظيمة .

أما حق الطفل فى أن يرضع لبن أمه فهو حق مكفول حتى أن الإسلام أباح لها أن تفطر إذا شعرت أن فى الصيام خطرا على طفلها كما كفل للأم أن ترضع وهى آمنة على رزقها وقوتها وسكنها وعلى الرجل الإنفاق عليها ، حتى إذا تم طلاقها وهى حامل تظل نفقتها مستمرة إلى أن تضع فتكون لولدها نفقة أخرى .

وإذا مات الرجل وهى حامل فإنها ترثه كما يرث ابنها .

وعلى الوارث أن يقوم بواجب الوالد المتوفى لاسترضاع الطفل من أمه أو من غيرها وكله بأجر .

وتأتى الأهمية الكبرى فى تربية الأطفال من خلال تعليمهم الإسلام وعقائده وسلوكياته ، وتقع المسئولية كاملة فى هذا الصدد على الأسرة ثم المدرسين والأساتذة والمربين فى كل مراحل التعليم قال الرسول ﷺ :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، الأمير راع ، والرجل راع على بيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . [رواه البخارى]

إن كلاً من الأب ، أو الأم ، أو المعلم يعمل فى تربيته للأطفال

على حسن الخلق واتباع الإسلام وعلى وقايتهم وإبعادهم عن كل ما يسبب لهم الألم أو العذاب فى الدنيا ثم فى الآخرة .

قال تعالى : ﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ .
[سورة التحريم : الآية ٦]

وقد حدد القرآن الكريم أهمية تنشئة الأطفال منذ الصغر على الإيمان والعقيدة الإسلامية الصحيحة ، وضرب بذلك مثلا وصية لقمان لابنه .

قال تعالى : ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ . [سورة لقمان : الآية ١٣]

وعلى الأسرة أيضا الاهتمام بتعويد الطفل على ممارسة العبادات من صلاة وصوم ويتعرف أيضا على بقية العبادات التى تجب عليه عند بلوغه من زكاة وحج إلى بيت الله الحرام .

إن تعليم هذه العبادات للطفل منذ نشأته وتعريف أركانها وسننها ونوافلها يؤثر تأثيرا عميقا فى نفسه فيشب معتادا عليها متمسكا بها .

قال تعالى : ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها﴾ .
[سورة طه : الآية ١٣٢]

وقال الرسول ﷺ : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » . (رواه الحاكم ، وأبو داود) .

كما يجب تعويد الطفل قراءة القرآن الكريم عن على بن أبى طالب « رضى الله عنه » أن النبى ﷺ قال : « أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن ، فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه » . (رواه الطبرانى) .

ونحن لا يمكن أن ننسى أهمية الأسوة الحسنة ، والقدوة التى يحتاجها الطفل يحاول أن يتمثل بسلوكياتها فى حياته خاصة فى عصرنا الحاضر فلابد أن يحاول كل منا فى موقعه أبا كان أو أما أو معلما ، أو أخا ، أو رئيسا فى العمل أو موجها لصغار أن يكون مثلا وقدوة حسنة ونذكر من التراث العظيم هذه الرسالة التى كتبها عمرو بن عتبة إلى أحد المعلمين لأولاده قال : « ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ، ولا تملهم فيه فيملوك فيكرهوه .

ولا تتركهم فيه فيهجروه . ارو لهم من الحديث أشرفه . ومن الشعر أعذبه ، ولا تنقلهم من علم إلى آخر حتى يحكموه . فإن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة النساء ، ولا تتكل على عذر منى لك ، فقد اتكلت على كفاية منك » .

● إن الطفل فى عصرنا الحاضر يجد نفسه حائرًا تائها بين تيارات وآراء وتوجيهات متضاربة .

• حقا إن الطفولة تعيش هذا العصر فى ظروف تختلف تماما عن أية ظروف أخرى فى أى عصر مضى ، حيث أتاح التقدم العلمى والتكنولوجى كثيرا من الوسائل التى تقدم كل أنواع المعرفة ، ومختلف صنوف التسلية للطفل . وهنا مكمن الخطر .

• إن البيت المسلم ، والمجتمع الذى يهتم بتربية الطفل تربية إسلامية صحيحة ، يمكن أن يوظف كل هذه الوسائل فى سبيل نمو الطفل وجدانيا ، وذهنيا على أجمل وأكمل وجه .

أما إذا افتقدنا فى بيوتنا ومدارسنا أو معاهدنا وجامعاتنا الرغبة الصادقة فى تعهد الطفولة تعهدا يضمن شبابا عظيما فى المستقبل ، يكون الضياع .

• من هنا يجب الاهتمام فى تربية الأطفال على قيم الإسلام العظيمة بكل ما فيها من جمال وتعويدهم على كل قيم الإسلام منذ نعومة أظافرهم .

• علينا أن نهتم بتعليمهم تلاوة القرآن الكريم ومحبة الصلاة فى المساجد حتى يشبوا على ذلك .

قال تعالى : ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله . فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ . [سورة التوبة : الآية ١٨]

ولا يخفى على كل من يتحمل مسئولية توجيه الطفل أن يقدم له القدوة والأسوة العظيمة التى يحاول كل مسلم الاقتداء بها ،

سون محمد ﷺ الذى وصفه القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿وإنك على خلق عظيم﴾ . [سورة القلم : الآية ٤]

.. هو عن نفسه : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وقال تعالى : ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ .

[سورة الأحزاب : الآية ٢١]

● أما الجانب الثقافى فهو هام للغاية لتربية وجدان وسلوكيات الإنسان منذ الطفولة .

ويلفت النظر بصورة كبيرة جهود السيدة « سوزان مبارك » حرم رئيس جمهورية مصر العربية ، بشأن ثقافة الطفل والعناية بها وإنشاء المكتبات التى تضم كل ما يهم الطفل فى جميع أنحاء الجمهورية .

● كما يلفت النظر الاهتمام بالمجلس الأعلى للثقافة ، والهيئة العامة للكتاب بإصدار الكتب الهامة ، وكتب التراث بأسعار زهيدة .

● وتظل مسئولية الآباء والأمهات والمربين فى اختيار الكتب المناسبة لأعمار وعقول الأطفال .

● كما يجب ألا نترك الطفل أمام جهاز التليفزيون الذى أصبح من أهم وسائل الاعلام والتعليم ، دون إشراف وتوجيه حتى يتلقى

كل ما يفيده ويتجنب كل ماله آثار سيئة على نفسه ووجدانه .

- حتى أوقات اللعب وممارسة الهوايات علينا دور فى توجيهها .
- إن الطفولة الجميلة لها تبعات ومسئوليات لدى الأسرة والمجتمع علينا أن نقوم بها خير قيام لنضمن مستقبلا أفضل وأجمل من الحاضر ، والله سبحانه المستعان .

فهرس الكتاب

الموضوع	صفحة

رقم الإيداع	٢٦٠٢/ ١٩٩٦	
الترقيم الدولى	977 - 02 - 5234 - 4	ISBN

١/٩٥/٦٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)